فيض الكريم فى تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم / نور الدين أنور على أحمد هارون

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بجامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين القاهرة

قسم أصول الدين

المقدمة

الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه والذي وسعت رحمته كل شيء والصلاة والسلام على رحمة الله المهداة سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة وهداية وهدىً للعالمين المنعوت في كتاب ربه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار المتراحمين برحمة الله الرحمن الرحيم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد. ..

فما أحوجنا دائما إلى المزيد من الدراسات القرآنية المستنيرة التي تعمق إيمان الإنسان وتزيده فهماً بحقيقة علوم آيات القرآن.

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الدراسة المتواضعة في بحث وسمته بفيض الكريم في تفسير" بسم الله الرحمن الرحيم " لأسير أنا والقارئ الكريم من خلال هذا البحث في جولة علمية إيمانية نورانية مباركة مشرقة بكل معاني الحق والخير والإيمان ونحن نشاهد بعضاً من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده في الدنيا والآخرة فتسري الطمأنينة في نفوسنا ونزداد إدراكاً ويقينا برحمة الله التي تشملنا في دنيانا وآخرتنا.

ولا يخفي ما لموضوع هذا البحث من أهمية علمية وإيمانية بالغة وماله من فائدة كبرى في مجال الدراسات القرآنية فأما أهميته وفائدته فمن المعلوم أن أسماء الله الحسنى في جميع سور القرآن الكريم ، تتكرر وكذا ذكر صفاته جل شأنه يتكرر في كثير من آياته الشريفة ، ومن بين الصفات التي تكررت في كتاب الله تعالى الرحمة ومن الأسماء الحسنى التي تكرر ذكرها الرحمن والرحيم.

وأن أول آية من آيات الكتاب العظيم يفتتح بها القرآن الكريم الآية الشريفة والتي رقمها واحد في السورة الأولى وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم).

وعلى ذلك فإن أول اسم من أسمائه سبحانه وتعالى ورد في الكتاب الكريم هو (الله) وأول الصفات التي وردت من صفاته جل شأنه هي (الرحمن الرحيم) وإذا كان القرآن الكريم قد افتتح بهذه الآية الشريفة فإن في ذلك أمر لكل مسلم بأن يفتتح قراءة القرآن بها وفيه أيضا علاوة على هذا التوجيه أمراً بأن يفتتح بها أي عمل ويبدأ بها أي قول، وفيها أيضا الدعوة إلى دارسة هذه الآية والتمعن فيما تهدف إليه.

والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن كافة سوره الشريفة تبدأ " بسم الله الرحمن الرحيم" إلا سورة براءة.

وأيضا مما يكشف عن عظم هذه الأهمية أن "بسم الله الرحمن الرحيم " أول آية على الراجح من سورة الفاتحة تلك السورة التي يرددها العبد سبعة عشر مرة في صلواته المكتوبة فضلا عن النوافل ولا يخفي ما في ذلك من تعليم للعبد أن يتدبر ويتأمل فيما تشير إليه هذه البسملة التي أهتم بها القرآن الكريم هذا الاهتمام الذي يؤكد حرصه على الدعوة إلى دراسة ما تهدف إليه هذه الآية الشريفة وما تضمنه من الأوصاف الإلهية الكريمة.

أسباب اختياري لهذا الموضوع: -

أما الأسباب التي كانت وراء اختيار لهذا الموضوع على النحو الآتي:

أولا: - أهمية الموضوع وقد بينت جانباً منها فيما مضى.

ثانيا: - أن البسملة عنيت بكثير من جهود العلماء واهتماماتهم فأسهم في دراستها أصاطين علماء اللغة و التفسير و الحديث والفقه والكلام.

فأرت من خلال هذا البحث أن أقف على شيء من جهود هؤلاء الاصاطين المباركة.

ثالثا: - أن البسملة يتوقف عليها كثير من صحة العبادات الشرعية فيتوقف عليها عند كثير من الفقهاء صحة الوضوء والصلاة وحل الأكل من الذبائح وغير ذلك مما أوجبة الشرع أو ندب إليه.

رابعا: - أن البسملة على قصرها و وجازت ألفاظها حوت كثيراً من دقائق وقضايا العلوم الشرعية والعربية فجاء هذا البحث ليكشف شيئاً من هذه الدقائق والقضايا.

خامسا: - أردت من خلال هذا البحث إيضاح الدلائل الكبرى على إعجازها البلاغي ، والكشف قدر المستطاع عن الأسرار البلاغية لمفرداتها وتراكيبها التي لها أثر بالغ في التفسير.

سادسا: - أن البسملة دخل في تفسيرها مالا يليق بها من التحريفات و الأحاديث و الآثار الضعيفة و الموضوعة فأردت أن أكشف النقاب عن بعض هذه التحريفات التفسيرية و الأحاديث و الآثار التي وقفت عليها.

خطة البحث

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياري له وخطتي فيه.

أما المبحث الأول فعنوانه: " التعريف بالبسملة ومفرداتها " وفيه خمسة مطالب:

المطلب الاول: – التعريف بلفظ البسملة من حيث اللغة.

المطلب الثاني: – التعريف بلفظ (الاسم).

المطلب الثالث: – لفظ الجلالة (الله) من حيث الاشتقاق وعدمه.

المطلب الرابع: – فوائد ولطائف تتعلق بأسمه تعالى (الله).

المطلب الخامس: – التعريف باسميه تعالى (الرحمن)،(الرحيم) و بيان الفرق بينهما.

أما المبحث الثاني فقد جعلته تحت عنوان: أهمية البسملة وفضلها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية البسملة.

المطلب الثاني: فضل البسملة

أما المبحث الثالث فقد جاء تحت عنوان: بيان لطائف التركيب وأثارها في تفسير " بسم الله الرحمن الرحيم " وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: في معنى الباء في (بسم الله الرحمن الرحيم) ودلالتها التفسيرية.

المطلب الثاني: في بيان وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم ودلالته التفسيرية.

المطلب الثالث: بلاغة التركيب في الرحمن الرحيم ودلالته التفسيرية.

المطلب الرابع: تحريفات في تفسير البسملة والتصدي لها.

المطلب الخامس: مذاهب القراء في البسملة.

أما المبحث الرابع: اختلاف العلماء في قرآنيه البسملة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تحرير محل النزاع في المسألة. .

المطلب الثاني: أراء العلماء وأدلتهم في المسألة.

أما المبحث الخامس: الأحكام الشرعية للبسملة وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: عدد آياتها.

المطلب الثاني: حكم من أثبت قرآنيتها أو نفاه.

المطلب الثالث: حكم قراءتها للجنب و الحائض.

المطلب الرابع: حكم مس المحدث لها.

المطلب الخامس: الاعتداد بكمال السورة دونها.

المطلب السادس: حكم البسملة لقراءة الفاتحة في الصلاة.

المطلب السابع: حكم الجهر بها في الصلاة الجهرية.

المطلب الثامن: حكم تكرار البسملة في الصلاة.

المطلب التاسع: حكم تأدي فرض القرآن بها في الركعة.

أما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي أنتجها البحث و وصى بها الباحث و أردفتها بثبتين الأول: ضمنته أهم المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في هذا البحث والثاني ضمنته أسماء الموضوعات وأرقام صفحاتها بالبحث ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

منهج البحث

يقوم منهج البحث على التفسير التحليلي فقد تناولت تفسير البسملة تفسيرا تحليلا و اتبعت فيه الخطوات الآتية:

الأولى: التحليل اللغوي لمفرداتها ومعانيها التفسيرية مع الاستشهاد لها بالقرآن وصحيح السنة ولغة العرب شعراً ونثراً.

الثانية: بيان الخصائص واللطائف التي استنبطها العلماء من أسمائه تعالى (الله ، الرحمن ، الرحيم).

الثالثة: بيان الأثر التفسيري لبلاغة التركيب في البسملة.

الرابعة: تناولت بعض الأحكام الشرعية في البسملة تناولاً فقهياً مقارناً ولم اكتف بمجرد الإشارة إلى الحكم الشرعي والقائلين به وذلك لأهمية الأحكام الشرعية التي استنبطها العلماء من البسملة و ذلك لدقة المسألة ولتوقف كثير من صحة العبادات عليها ولأيماني بأن الفقه لا يستغني عنه المفسر كما لا يستغني الفقيه عن التفسير.

الخامسة: اجتهد الباحث قدر الطاقة في هذا البحث بعزو الآيات إلى سورها وأرقامها و الأقوال إلى قائليها وخرجت الأحاديث والآثار من مظانها ونبهت قدر الطاقة على صحيحها و ضعيفها وموضوعها وعزوت الأشعار إلى شعرائها وبينت مواضعها في دواوينها ومظانها ، وعنيت في هذا البحث بأوجه التفسير والإعراب والصور البلاغية قدر الطاقة البشرية ، وفي المسائل الخلافية بينت بعد ذكر أراء العلماء وأدلتهم الرأي الراجح في المسائل مصحوباً بأدلة الترجيح التي ذكرها العلماء أو التي أضافها الباحث من عنده.

وبعد فهذا بحمد الله جهد المقل المقصر فإن كان قد وفق فبفضل الله ومنته وتوفيقه فله الحمد والشكر على ما وفق وأنعم وإن كانت الأخرى و أرجو ألا تكون

فمن نفسي المقصرة والشيطان والهوى وحسبي أني اجتهدت قدر طاقة البشرية والله أسال أن يجعل ذلك العمل في ميزان حسناتي وحسنات من ساعدني فيه وحسنات قارئيه وكاتبيه.

الباحث:

نور الدين أنور علي أحمد

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر الشريف.

المبحث الأول

في التعريف بالبسملة و مفرادته وفيه مطالب:-

المطلب الأول

في التعريف بالبسملة من حيث اللغة

البسملة اسم لكلمة باسم الله، صيغ هذا الاسم على مادةٍ مؤلفة من حروف الكلمتين(باسم)، (الله) على طريقة تُسمى النحت، وهو صياغة فعلٍ مُضِيٍ على ذنة "فَعلَل" مؤلفة مادته من حروف جملة أو حروف مُركّب إضافى، مما ينطق به الناس إختصاراً عن ذكر الجملة كلها بقصد التخفيف لكثرة دوران ذلك على الألسنة. وقد استعمل العرب النحت فى النسب إلى الجملة أو المُركب إذا كان فى النسب إلى صدر ذلك أو إلى عجزه القياس كما قالوا فى النسبة إلى عبدشمس _عَبشَمِيّ_ خشية بالنسب إلى عبدٍ أو إلى شمس وفى النسبة إلى عبد الدار _عَبدَرِى_ كذلك وإلى حضر موت _حضرمى_ قال سيبويه فى باب الإضافة(أى النسب) إلى المُضاف من الاسماء"وقد يجعلون للنسب فى الإضافة اسماً بمنزلة جعفرى ويجعلون فيه حروف الأول و الأخير ولا يخرجونه من حروفها ليعرف، فجاء من خلفهم من مولدى العرب واستعملوا هذه الطريقة فى حكاية الجمل التى يكثر دورانها على الألسنة لقصد الاختصار، وذلك من صدر الاسلام فصارت الطريقة عربية[1] قال الراعى النمرى:

قومٌ على الاسلام لمّا يمنعوا ما عونهم ويضبّعوا التهليلا(٢).

---

[1] - الكتاب لسيبويه ٣ / ١٦٥.

2- ديوانه ص(٢٣٠).

أى لم يتركوا قول"لا إله إلا الله".

وقال عمرو بن أبى ربيعة:

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها ألا حبذا ذاك الحبيب المبسمل(٣).

أى قالت بسم الله فرقاً منه.

فأصل بسمل قال:بسم الله. ثم أطلقه المولدون على قول بسم الله الرحمن الرحيم، اكتفاء واعتماداً على الشهرة وإن كان هذا المنحوت و تشكيلهاخلياً من الحاء والراء اللذين هما من حروف الرحمان الرحيم فشاع قولهم:بسمل فى معنى قال:بسم الله الرحمن الرحيم، واشتقوا من فعل بسمل مصدراً هو"البسملة" كما اشتقوا من هَلَلَ مصدراً هو "الهيللة" وهو مصدر قياسى لفعل.

واشتق منه اسم فاعل فى بيت عمر بن أبى ربيعة ولم يسمع اشتقاق اسم مفعول.

والاسماء التى نحتت من اسمائها سبعة: بسمل فى بسم الله ، سَبحَل فى سبحان الله ، وحيعل فى حى على الصلاة ، وحَو قَلَ فى لاحول ولا قوة إلا بالله ، وحَمدَل فى الحمد لله ، وهَلَّل فى لا إله إلا الله ، وحيعل إذا قال جعلت فداك ، وزادا طلبق فى أطال الله بقاءك والدمعزة فى أدام الله عمرك(٤).

المطلب الثاني

التعريف بلفظ "الاسم"

والاسم لفظ جعل دالاً على ذات حسية أو معنوية بشخصها ونوعها.

ولفظ الاسم فيه لغات:

3- ديوانه ص (١١٧).

4- التحرير والتنوير (١٨٢،١٨٣/١) ، تفسير القرطبى (١٥٠،١٥١/١) السيوطى فى المزهر (٤٨٣/١)، فقة اللغة الثعالبى ص (٢٢٥). تفسير النكت والعيون للموارديِ (٥٠/١).

الأولى: اسم والثانية: وسم والثالثة: سم و الرابعة: وسم ، والعرب تقول تارة اسم بكسر الألف وأخرى بضمه ، فإذا طرحوا الألف قال الذين لغتهم كسر الأف سم ، وقال الذين لغتهم ضم الألف سم ،وقال ثعلب: من جعل أصله من سما يسمى قال اسم وسم ومن جعل أصله من سما يسموا قال اسم وسم ، وأجمعوا على أن تصغير الاسم سمى وجمعه اسماء واسامى. هذا وقد اختلفوا فى استقافه على قولين فذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو أى العلو فيقال سما يسمو إذا علا وظهر فاسم الشئ ما علاه حتى ظهر ذلك الشئ به. والقائلون بذلك لهم قولان

القول الأول: أن أصل الاسم من سما يسمو وسما يسمى ، والأمر فيه اسم: كقولنا ادع من دعوت ، أو اسم مثل ارم من رميت ثم إنهم جعلوا هذه الصيغه اسماو أدخلوا عليها وجوه الإعراب ، وأخرجوها عن حد الأفعال قالوا: وهذا كما سموا البعير يعرك وقال الأخفش: هذا مثل الآن فإن أصله يئين إذا حضر ، ثم أدخلوا الألف واللام على الماضى من فعله وتركوه مفتوحاً.

القول الثانى: أصله سمو مثل حمو ، وإنما حذفت الواو من آخره استثقالاً لتَعاقب الحركات عليها مع كثرة الدوران ، وإنما أعربوا الميم لأنها صارت بسبب حذف الواو آخر فنقل حركة الواو إليها ، وإنما سكنوا السين لأنه لما حذفت الواو بقى حرفان أحدهما ساكن والآخر متحرك فلما حرك الساكن وجب تسكين المتحرك ليحصل الاعتدال وإنما أدخلت الهمزة فى أوله لأن الابتداء بالساكن محال فأحتاجوا إلى ذكر ما يبتدأ به وإنما خصت الهمزة بذلك لأنها من حروف الزيادة.

ورأى الكوفيون أنه مشتق من السمة بمعنى العلامه فتقول ويسم سمة فالاسم كالعلامه المعرفة للمسمى.

الأدلة: استدل البصريون بأدلة:

الأول: أن اللفظ معرف للمعنى ، ومتقدم فى المعلومية على المعرف ، فلا جرم كان الاسم عالياً على المعنى ومتقدماً عليه.

الثانى: لو كان اشتقاق الاسم من السمة لكان تصغيِر وسيم وجمعه أوساما

الثالث: أن جميع المعانى تتحقق بإطلاقات الاسم ولو بتأويل فإن أصل الاسم فى كلام العرب هو العلَم ولا توضع الأعلام إلا لشئ مهتم به وهذا اعتاد بالأصل والغالب ، وإلا فقد توضع الأعلام لغير ما يهتم به كما قالوا فَجَارِ علم للفجرة. وعليه يكون لفظ الاسم عند البصريين من الناقص الواوى فهو إما سِمْو على زنة فِعل بكسر الفاء كـ (حِمل) ، أو سُمو بوزن قفل فحُذفت اللام لمجرد التخفيف أو لكثرة الاستعمال ولذلك جرى الإعراب على الحرف الباقى، لأنه لو حذفت لامه لعلة فية مقدر على الحرف المحذوف كما هو نحو قاضٍ وجَوارٍ ، فلما جرى الإعراب على الحرف الباقى الذى كان ساكناً نقلوا سكونه للمتحرك وهو أول الكلمة وجلبوا همزة الوصل للنطق بالساكن ، إذ العرب لا تستحسن الابتداء بحرف ساكن لابتناء لغتهم على التخفيف ، وقد قضوا بإجتلاب الهمزة وطراً ثانيا من التخفيف وهو عود الكلمة إلى الثلاثى لأن الأسماء التى تبقى على حرفين مثل يدٍ ودم لا تخلوا من ثقل ، وفى هذا دليل على أن الهمزة لم تجتلب لتعويض الحرف المحذوف وإلا لاجتلبوها فى يد ودمٍ وغدٍ. وقد احتجوا على أن أصله كذلك بجمعه على اسماء بوزن أفعال ، فظهرت فى آخره همزة وهى منقلبة عن الواو المتطرفة إثر ألف الجمع ، وبأنه جمع على اسامى وهو جمع الجمع بوزن أفعايل بإدغام ياء الجمع فى لام الكلمة ويجوز تخفيفها كما فى أثافِى وأمانى ، وبأنه صُغر على سُمى وأن الفعل منه سميت وهى حجج بينة على أن أصله من الناقص الواوى وبأنه يقال

سُمى كهدى لأنهم صاغوه على فُعَل كرطب فتنقلب الواو المتحركة ألفاً إثر الفتحة وأنشدوا على ذلك قول أبى خالد القنانى الراجز:

واللهُ اسماك سُمَّى مباركاً آثرك الله به إيثاركا(٥).

وإعُترض عليه: بأنه لا حجة فيه لاحتمال كونه لغة من قال سُم والنصب فيه نصب إعراب لا نصب الإعلال. وأجيب عنه: بأن كتابته بالإمالة تدل على خلاف ذلك ، وعندى فيه أن الكتابة لا تتعلق بها الرواية فلعل الذين كتبوه بالياء هم الذين ظنوه مقصوراً ، على أن قياسها الكتابة بالألف مطلقاً لأنه واوى إلا إذا أُريد عدم التباس الألف بألف النصب.

واستدل الكوفيون: بأن أصله من وسم يسم ، ثم حذف منه الواو ثم زيدَ فيه ألف الوصل عوضاً عن المحذوف كالعدة والصفة والزنة أصله الوعد والوصف والوزن ، اسقط منها الواو ، وزيد فيها الهاء.

والكوفيون بنوا مذهبهم على أن لفظ اسم من وسم بكسر الواو لأنه من السمة وهى العلامة ، فحذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليبقى على ثلاثة أحرف ثم يتوسل بذلك إلى تخفيفه فى الوصل ، وكأنهم رأوا أن لا وجه لاشتقاقه من السمو لأنه قد يُستعمل لأشياء غير سامية وقد علمت وجه الجواب.

هذا ويمكن التوفيق بين المذهبين بإن يقال إن مذهب البصريين أرجح من ناحية تصاريف هذا اللفظ. ومذهب الكوفيين أرجح من جانب الإشتقاق دون التصريف، على أن همزة الوصل لم يعهد دخولها على ما حذف صدره. واجيب عن استدلال البصريين بتصاريفه بأنها يحتمل أن تكون تلك التصاريف من القلب المكانى بأن يكون

5- البيت من شواهد ابن منظور في لسان العرب مادة: (سما)

أصل اسم وسم ، ثم نقلت الواو التى هى فاء الكلمة فجُعلت لاماً ليتوسل بذلك إلى حذفها ورد فى تصرفاته فى الموضع الذى حذف منه لأنه تتوسى أصله.

وأجيب عن ذلك بأن هذا بعيد لأنه خلاف الأصل. وبأن القلب لا يلزم الكلمة فى سائر تصاريفها وإلا لما عرف أصل تلك الكلمة. وقد أتفق علماء اللغة على أن تصاريف هى التى يعرف بها الزائد من الأصل والمنقلب من غيره(٦).

الألف فى باسم:

وكلمة"اسم" الواردة فى البسملة تكتب بغير ألف لأن الألف استغنى عنها بباء الإلصاق فى اللفظ والخط لكثرة الاستعمال بخلاف قوله{إقرأ باسم ربك} {العلق:١}.فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال. وإختلفوا فى حذفها مع الرحمن والقاهر. فقيل تحذف الألف، وقيل:لا تحذف إلا مع"بسم الله"فقط لأن الاستعمال إنما كثر فيه(٧).

فى أطلاقات الاسم:

هذا ولفظ الاسم له فى لغة العرب إطلاقات فتارة يطلقونه ويريدون به ما يرادف المسمى ومنه قول النابغة:

نبئت زُرُعةَ والسفاهةُ كاسمها يُهدى إلى غرائب الأشعار(٨).

يعنى أن السفاهة هى لا تعرف للناس بأكثر من اسمها وهو قريب من استعمال اسم الإشارة فى قوله تعالى"وكذلك جعلناكم أمة وسطاً"[٩]، أى مثل ذلك الجعل الواضح الشهير.

6- تفسير القرطبى (١٥٦/١) ، الصحاح (سما) ، تفسير الرازى (١٠٧/١_١٠٨) ، البحر المحيط وبحاشيته الدر اللقيط ، والنهر المارد (١٤/١) ، التحرير والتنوير (١٤٨/١_١٤٩).
7- تفسير القرطبى (١٥٤/١)، المحرر الوجيز(٦٢/١)، معانى القرآن للفراء (٣/١).
8- ديوانه ص(٥٤).

الثانى:يطلقون الاسم مقحماً زائداً كما فى قول لبيد بن ربيعة العامري τ:

إلى الحولِ ثم اسم السلام عليكما ومن يبكيك حولا كاملاً فقد اعتذر (١٠).

يعنى ثم السلام عليكما وليس هذا خاصاً بلفظ الاسم بل يجئ فيما يرادفه مثل الكلمة فى قوله تعالى{وألزمهم كلمة التقوى}{الفتح: ٦ }،وكذلك "لفظ" فى قول بشار هاجياً:

وكذاك، كان أبوك يؤثر بالهُنَى ويظل فى لفظ الندى يتردد(١١).

الثالث:يطلقونه ويريدون ذات العبارة وهو الأكثر من استعمالها، ومنه قوله تعالى:{وعلم آدم الاسماء كلها}{البقرة:٣١} على أشهر التأويلات ومنه قول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"إن لله تسعة وتسعين اسماً"(١٢).

الرابع:يطلقونه ويجرونه مجرى الذات، يُقال:ذات ونفس وعين واسم بمعنى، وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى: {سبح اسم ربك الأعلى} {الأعلى:١}،"تبارك اسم ربك"{الرحمن:٧٨}،"وما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها" {يوسف:٤٠}.

وهذه الإطلاقات لا علاقة لها فى اسم الله الوارد فى البسملة وإنما نبهت عليها لأن بعض المُفسرين خلطها بتفسير البسملة(١٣).

---

9 – سورة البقرة آية (١٤٣).

10- ديوان لبيد بن ربيعة العامري τ ص ٧٩.

11- ديوان بشار المجلد الثاني ص ٣٢٢ تحقيق الطاهر بن عاشور لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٥٤ م.

12-اخرجه البخارى فى كتاب التوحيد، باب:[إن لله مائةاسم إلا واحداً]٩/١٤٥، ومسلم-كتاب الذكرو الدعاء- باب:[فى اسماء الله تعالى] ٤/٢٠٦ رقم:(٢٦٧٧) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، أحمد(٧٥٠٢)

13- التحرير والتنوير (١/١٥٠_١٥١)، تفسير القرطبى (١/٢٤).

والباء فى قوله:"بسم الله"باء الجر وإنما خصت بالكسر ولم تبن على السكون أو الفتح لوجوه:

الأول:ليناسب لفظها عملها.

الثانى:لما كانت الباء لا تدخل إلا على الاسماء خصت بالخفض الذى لا يكون إلا فى الاسماء.

الثالث:ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسماً نحو الكاف فى قول الشاعر:

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا(١٤).أى بمثل إبن الماء وما كان مثله(١٥).

وفى ذلك يقول صاحب الكشاف:"فإن قلت:من حق حروف المعانى التى جاءت على حرف واحد أن تُبنى على الفتحة التى هى أخت السكون،نحو:كاف التشبيه،ولام الإبتداء، واو العطف وفائه،وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر؟قلت:أما اللام فليفصل بينهما وبين لام الإبتداء،وأما الباء فلكونها ملازمة للحرفية والجر، والاسم أحد الاسماء العشرة التى بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة، لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن وإذا كان دأبهم أن يبتدئوا بالمُتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة،ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة، وإذا وقعت فى الدرج لم تفتقر إلي زيادة شئ،ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن"(١٦).

14- هو إمرؤ القيس والبيت فى ديوانه ص (١٧٦).
15- تفسير القرطبى (١/١٥٤).
16- تفسير الكشاف (٦ / ١).

والباء فى البسملة داخلة على محذوف وهذا المحذوف إما أن يكون اسماً وإما أن يكون فعلاً فإن قدرته فعلاً فهو بحسب حال المسمى. فالقارئ حين يقول:بسم الله معناه:أقرأ مستعيناً بالله. والكاتب حين يأخذ القلم ويقول بسم الله معناه:أكتب مستعيناً بالله. والآكل حين يتناول الطعام ويقول: ((بسم الله)) معناه: آكل مُستعيناً بالله. وهكذا كل الأفعال والأعمال يقدّر لها فعلاً مناسباً والحديث الشريف"كلُ أمرٍ ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر"(١٧). وإن قدرته اسماً كان التقدير إبتدائى باسم الله، وهذا المحذوف على كلٍ من التقديرين يجوز أن يكون مُتقدماً وأن يكون مُتأخراً فتصير الأقسام أربعة، أما إذا كان مُتقدماً وكان فعلاً فكقولك:أبدأ باسم الله، وأما إذا كان مُتقدماً وكان اسماً فكقولك:إبتداء الكلام باسم الله،وأما إذا كان مُتأخراً وكان فعلاً فكقولك:باسم الله أبدأ، وأما إذا كان مُتأخراً اسماً فكقولك باسم الله إبتدائى".

وهذا المحذوف سواء أكان اسماً أو فعلاً جاز لك أن تجعله مُقدماً أو مؤخراً وبكليهما جاء القرآن، أما التقديم فكقوله:"باسم الله مجراها ومرساها"{هود: ٤١ } وأما التأخير فكقوله:"إقرأ باسم ربك"{العلق:١}.

والتقديم فى البسملة أبلغ لوجوه:

الأول:أنه تعالى الأول بلى ابتداء وأنه واجب الوجود لذاته فيكون وجوده سابقاً على وجود غيره، والسابق بالذات يستحق السبق فى الذكر.

قال تعالى {هو الأول والأخر والظاهر و الباطن}{الحديد:٢}وقال تعالى{لله الأمر من قبل ومن بعد}{الروم:٤}.

17 - راجع السلسة الضعيفة رقم ٩٠٢

الثانى:لأن التقديم فى الذكر أدخل فى التعظيم.

الثالث:أنه قال"إياك نعبد" فههنا الفعل متأخر عن الاسم فوجب أن يكون فى قوله"بسم الله" كذلك فيكون التقدير باسم الله إبتدى. وأيضاً فإن جعل المُضمر فعلاً أولى لأن نسق تلاوة القرآن يدل على أن المُضمر هو الفعل، وهو الأمر لأنه تعالى قال:"إياك نعبد وإياك نستعين، والتقدير قولوا إياك نعبد.وإياك نستعين ، فكذلك قوله:"بسم الله الرحمن الرحيم" التقدير قولوا بسم الله ، فإن قلت إن تقدير المحذوف اسما أولى لأنه إذا كان تقدير الكلام قولوا بسم الله أبتداء كل شئ كان هذا إخباراً عن كونه مبدأ فى ذاته لجميع الحوادث وخالقاً لجميع الكائنات سواء قاله قائل أو لم يقله ، وسواء ذكره ذاكر أو لم يذكره ، ولا شك أن هذا الاحتمال أولى وتمام الكلام فيه يجئ فى بيان أن الأولى أن يقال قولوا الحمد لله أو الأولى أن يقال الحمد لله ، لأنه إخبار عن كونه فى نفسه مستحقاً للحمد سواء قاله قائل أو لم يقله.

المطلب الثالث

لفظ الجلالة (الله) من حيث الاشتقاق وعدمه

ولفظ الجلالة فى البسملة وغيرها اسم على الذات العلية واجب الوجود ، لا يشاركه فيه غيره.

ولفظ الجلالة "الله" علم على الرب تبارك وتعالى ، ويقال ، إنه الاسم الأعظم ، لأنه يوصف بجميع الصفات ، كما قال تعالى:"هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن {الحشر:٢٣} فأجرى الاسماء كلها مجرى الصفات. وهو اسم لم يُسمّ به غيره تبارك وتعالى(١٨).

18 تفسير ابن كثير ١(/ ١٩) ، روح المعانى (٥٢/١).

وهذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه ، وأجمعها ، وهو اسم للموجود الحق، الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى ، لا إله إلا هو سبحانه(١٩).

واسم الجلالة "الله" علم مرتجل لا يطلق إلا على المعبود بحق ، وهذا عند أكثر العلماء كما قال أبو حيان(٢٠). واسمه تعالى(الله) للعلماء فى اشتقاقه رأيان:

الرأي الأول: أنه اسم علم غير مشتق وهو رأى أكثر أهل العلم من الفقهاء والأصولين واللغويين(٢١) واستدلوا على ذلك بأدلة:

الأول:أنه لو كان لفظاً مشتقاً لكان معناه معنى كليّاً لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه لأن اللفظ المشتق لا يفيد إلا أنه شئ مبهم حصل له ذلك المشتق منه وهذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثيرين ، ولو كان كذلك لما كان قولنا "لا إله إلا الله" توحيداً حقا مانعاً من وقوع الشركة فيه بين كثيرين لأن بتقدير أن يكون الله لفظاً مشتقاً كان قولنا "الله" غير مانع من أن يدخل تحته أشخاص كثيرة ،وحينئذ لا يكون قولنا: لا إله إلا الله" موجباً للتوحيد المحض وقد علمنا أن قولنا "الله" اسم علم موضوع لتلك الذات المعينة وأنها ليست من الألفاظ المشتقة.

الثانى: أن من أراد أن يذكر ذاتاً معينة ثم يذكره بالصفات فإنه يذكر اسمه أولاً ثم يذكر عقيب الاسم الصفات ، مثل أن يقول: زيد الفقيه النحوى الأصولى ، إذا عرفت هذا فتقول: إن كل من أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات المقدسة فإنه يذكر أو لا لفظه الله ثم يذكر عقبيه صفات المدائح مثل أن يقول:الله العالم القادر

19- تفسير القرطبى (١٠٢/١).
20- البحر المحيط لأبى حيان (١٤/١).
21- زاد المسير لأبن الجوزى (٢٨/١) ، البحر المحيط (١٤/١) ، تفسير القرطبى (١٠٢/١).

الحكيم ، ولا يعكسون هذا فلا يقولون: العالم القادر الله ، وذلك يدل على أن قولنا "الله" اسم علم.

فإن قلت: أليس أنه تعالى قال فى أول سورة إبراهيم {العزيز الحميد الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض}{إبراهيم:١، ٢} (قلنا): ههنا قراءتان **الأولى:** منهم من قرأ الله بالرفع ، وحينئذ يزول السؤال لأنه لما جعله مبتدأ فقد أخرجه عن جعله صفة لما قبله ، وأما من قرأ بالجر فهو نظير لقولنا هذة الدار ملك العالم زيد وليس المراد أنه جعل قوله زيد صفه للعالم الفاضل ، بل المعنى أنه لما قال هذه الدار ملك للعالم الفاضل بقى الاشتباه فى أنه من ذلك العالم الفاضل ؟ فقيل عقبيه زيد ، ليصير هذا مزيلاً لذلك الاشتباه ، ولما لم يلزم ههنا أن يقال اسم العلم صار صفة فكذلك هذه الآية.

الثالث: قال تعالى{هل تعلم له سميا}{مريم:٦٥ }وليس المراد من الاسم فى هذه الآية الصفة وإلا لكذب قوله {هل تعلم له سميا}فوجب أن يكون المراداسم العلم فكل من أثبت لله اسم علم قال ليس ذاك إلاقولنا الله(٢٢).

الرأى الثانى:لبعض أهل العلم وهم يرون أن اسمه تعالى الله صفة مشتقة وليس علماً واستدلوا بما يأتى:

الأول: قوله تعالى: "وهو الله فى السموات وفى الأرض" {الأنعام: ٣} وقوله "هو الله الذى لا إله إلا هو" {الحشر: ٢٢} فإن قوله "الله" لابد وأن يكون صفة ، ولا يجوز أن يقال: هو العالم الزاهد فى البلد ، وبهذا الطريق يعترض على قول

22- تفسير الرازى (١/١٥٦_١٥٧).

النحويين:إن الضمير لا يقع موصوفاً ولا صفة وإذا ثبت كونه صفة امتنع أن يكون اسم علم.

الثانى:أن اسم العلم قائم مقام الإشارة،فلما كانت الإشارة ممتنعة فى حق الله تعالى كان اسم العلم ممتنعاً

فى حقه.

الثالث:أن اسم العلم إنما يصار إليه ليتميز شخص عن شخص آخر يشبهه فى الحقيقة والماهية، وإذا كان هذا فى حق الله ممتنعاً كان القول بإثبات الاسم العلم محالاً فى حقه.

مناقشة أدلة أصحاب الرأي الثانى: ويمكن الجواب عن هذه الادلة:

الأول:لم لا يجوز أن يكون ذلك جارياً مجرى أن يقال:هذا زيد الذى لا نظير له فى العلم و الزهد.

الثانى:أن الاسم العلم الذى هو وضع لتعين الذات المُعينة، ولا حاجة فيه إلى كون ذلك المُسمى مُشاراً إليه بالحسن أم لا وهذا أيضاً جواب عن الدليل الثالث(٢٣).

والخلاصة:أنه تبين بهذا أن اسمه تعالى "الله"علم غير مُشتق كما صرح به الغزالى،والبيهقى، والحليمى،والزجاج(٢٤).

مسألة:اختلف العلماء فى عربية اسمه تعالى"الله"

كما اختلف العلماء فى اشتقاق اسمه تعالى على قولين اختلفوا فى عربيته على قولين:

23- تفسير الرازى (١/١٥٧_١٥٨).
24- الزجاج ص (٢٥)، البيهقى ص (٣٤) وما بعدها، واللسان: أله، والغزالى ص (٦٠).

الأول:فذهب بعض أهل العلم أنه سريانى أو عبرانى.

الثانى:أنه عربى فى أصل وضعه(٢٥).

واستدل أصحاب الرأى الأول:

أولاً:بأنهم يقولون فى السريانية إلهاً رحماناً ومرحياناً، فلما عُرّب جُعل"الله الرحمن الرحيم". وأجُيب عنه:بأن هذا بعيد ولا يلزم من المُشابهة الحاصلة بين اللغتين الطعن فى كون هذه اللفظة عربية أصيلة.

الثانى:أنهم قالوا إن كلمة"الله" فى السريانية أصلها"إلاه"، فأدخلت الألف واللام عليها للتعظيم، فصار الالاه، فحذفت الهمزة استثقالاً، لكثرة جريانها على الألسنة، فاجتمع لامان، فادغمت الأولى فقالوا "الله"، أو أصله فى السريانية "لاه" فألحقوا بها الألف واللام فقيل الله فأخرجه على الأصل(٢٦).

ويمكن الجواب عن هذا بأن ما نقلوه عن السريانية والعبرانية إنما هو خاص بكلمة إله وليس خاصاً بكلمة الله حيث إن المحققين ذكروا فى إشتقاق كلمة "إله" وجوهاً:

الأول:لفظ مُشتق من آله الرجل إلى الرجل إذا نزع إليه من أمر نزل فأله أى:أجاره وآمنه.

الثانى:من وله يوله، والوله المحبة الشديدة، واشتقاقه من الوله لأن قلوب العباد ولهت به سبحانه، كقوله تعالى"ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون"{النحل:٥٣}.

الثالث:من أله يأله إذا تحير، لأن العقول تتحير عند التفكير فى عظمة الله، وتعجز عن بلوغ كنه جلاله.

25- زاد المسير لابن الجوزى (٨/١)، والبحر المحيط (١٤/١)، تفسير القرطبى (١٠٢/١).
26- تفسير الرازى(١٦٣/١).

الرابع:من أله يأله بمعنى عبد يعبد، والتأله التعبد،فمعناه المعبود.

الخامس:من لاه يلوه إذا احتجب، أو إذا ارتفع، ومنه قول العرب لكل شئ مرتفع:لاها فكانوا يقولون إذا طلعت الشمس:لاهت.

السادس:من آله بالمكان إذا قام فيه.

السابع:الإله مُشتق من ألهت إلى فلان، أى سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره والأرواح لا تعرج إلا بمعرفته.

الثامن:إشتقاقه من أله الفصيل إذا ولع بأمه، والمعنى أن العباد مولهون مولعون بالتضرع إليه فى كل الأحوال(٢٧).

وأما القائلون بأن أصله عربى فقد استدلوا:

بقوله تعالى:"رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده وإصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً"{مريم: ٦٥} فقد أجمعوا على أن المراد بقوله (هل تعلم له سميا) هو الله.

واستدلوا بقوله تعالى:"ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله"

{العنكبوت:٦١}. فوجه الدلالة من الآية:أن اسمه تعالى(الله) تقرر فى لغة العرب قبل دخول الإشراك

فيهم فكان أصل وضعه دالاً على انفراده بالألوهية إذ لا إله غيره فلذلك صار علماً عليه(٢٨).

27- تفسير الرازى (١/١٥٩_١٦١) اشتقاق اسماء الله الحسنى ص (٢٣)، المحـــرر الـــوجيز (١/٦٣)، تفسير السمر قندى(١/٧٦)، محيط المحيط (آله)،الشرباصي (١/١٥)، التحرير والتنوير (١/١٦٥).

28- التحرير والتنوير (١/١٦٣).

المطلب الرابع

فوائد ولطائف تتعلق باسمه تعالى "الله"

الفائدة الأولى: أن اسمه تعالى (الله) اسم تفرد به سبحانه، وخص به نفسه، وجعله أول اسمائه وأعظمها وأضافها كلها إليه، فكل ما جاء سواه من أسمائه تعالى يكون نعتاً وصفة (٢٩).

ولفظ الجلالة "الله" أكبر الاسماء وأجمعها للمعانى، ومعناه القدرة التامة علي المقدورات ولهذا لا يجوز أن يسمى به أحد سواه بوجه من الوجوه وسائر الاسماء قد يتسمى بها غيره كالقادر والعليم، والرحيم وغيرها وذكر الغزالى أنه اسم للإله للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية،والمنعوت بنعوت الربوبية،والمتفرد بالوجود الحقيقى(٣٠).

وتجدر الإشارة إلى أن العرب فى جاهليتهم لا يسمون شيئاً من معبوداتهم بهذا الاسم العظيم"الله" فلفظ الجلالة"الله" كان خاصاً بالخالق الذى خلق السموات والأرض والكائنات كلها.

ولهذا كان العربى فى الجاهلية إذا سُئل:هل خلقت اللات والعزى أو غيرهما من الآلهة شيئاً من هذه الموجودات؟ يقول لا.

وقد احتج القرآن عليهم باعتقادهم فقال سبحانه وتعالى:"ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون" {العنكبوت: ٦١}(٣١).

29- المقصد الأسنى للغزالى ص (٦٠)،أسماء الله الحسنى حسن مخلوف ص (٢٧).
30- المقصد الأسنى الغزالى ص (٦٠)، والبيهقى ص (٣٤)، واسماء الله الحسنى دراسة فى البنية والدلالة ص (٤٢).
31- آيات الأحكام للقصبى زلط (٢٢٨/١).

الفائدة الثانية:أن هذا الاسم مُختص بخواص لم توجد فى سائر أسماء الله تعالى فالخاصية الأولى:أنك إذا حذفت الألف من قولك"الله" بقى الباقى على سورة "لله" وهو مُختص به سبحانه، كما فى قوله تعالى(ولله جنود السموات والأرض) {الفتح:٤}،(ولله خزائن السموات والأرض){المنافقون: ٧} وإن حذفت عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة "له" كما فى قوله تعالى (له الملك وله الحمد و هو على كل شىء قدير) {التغابن:١} وقوله (له مقاليد السموات والارض) {الزمر:٦٣} فإن حذفت اللام الباقية كانت البقية هى قولنا "هو" وهو أيضاً يدل عليه سبحانه كما فى قوله (قل هو الله أحد) {الإخلاص:١} وقوله(هو الحى لا إله إلا هو){غافر:٦٥} والواو زائدة بدليل سقوطها فى التثنية والجمع فإنك تقول:هما، هم فلا تبقى الواو فيهما، فهذه الخاصية موجودة فى لفظ "الله" غير موجودة فى سائر الاسماء، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضاً بحسب المعنى، فإنك إذا دعوت الله بالرحمن فقد وصفته بالرحمة، وما وصفته بالقهر، وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم، وما وصفته بالقدرة، وأما إذا قلت يا الله فقد وصفته بجميع الصفات، لأن الإله لا يكون إلهاً إلا إذا كان موصوفاً بجميع هذه الصفات، فثبت أن قولنا(الله)قد حصلت له هذه الخاصية التى لم تحصل لسائر أسمائه تعالى.

الخاصية الثانية:أن كلمة الشهادة وهى الكلمة التى بسببها ينتقل الكافر من الكفر إلى الاسلام لم يحصل فيها إلا هذا الاسم، فلو أن الكافر قال:أشهد أن لا إله إلا الرحمن أو إلا الرحيم أو إلا الملك، أو إلا القدوس لم يخرج من الكفر ولم يدخل

فى الاسلام، أما إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فإنه يخرج من الكفر ويدخل فى الإسلام وذلك يدل على اختصاص هذا الاسم بهذه الخاصية الشريفة(٣٢).

الفائدةالثالثة:حظ العبد من هذا الاسم "الله"

وحظ العبد من هذا الاسم التأله بمعنى أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله تعالى،لا يرى غيره، ولا يلتفت إلى سواه، ولا يرجوه ولا يخاف إلا إياه. وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقى الحق وكل ما سواه فانٍ وهالك وباطل إلا به.؟ فيرى أولاً نفسه أول هالك وباطل كما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حيث قال:"أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيدٍ:"ألا كل شئ ما خلا الله باطل"(٣٣).

وأيضاً من جهة لسان العبد فإن العبد حين يجرى على لسانه اسمه تعالى" الله" ينبغى أن يستحضر عظمة الخالق سبحانه فى نفسه، ويتأمل فى صفات الربوبية والعزة التى ينفرد بها جل وعز حتى يصير الغالب على قلبه وأعماق وجدانه خشيته ومهابته تعالى فيزداد منه قرباً وحياء ورغبة ورجاء، فالخشية منه سبحانه تثمر فى القلب نعمة القرب والرضا. ويتدفق عليه العطاء الجزيل ويجرى على يديه الخير العميم،ما دام اللسان ذاكراً والقلب خاشعاً مغموراً بأنوار الحق سبحانه.

والمؤمن ينبغى أن يجعل قلبه مستغرقاً فى صفات الجلال لئلا يستحوذ عليه الهوى أو يذله الشيطان أو تاسره الدنيا بملاهيها وشهواتها، فإذا تحقق الاستغراق لمعانى الجلال فى القلب كانت حركات العبد وسكناته وخطراته وأقواله وأفعاله بالله

32- تفسير الرازى(١/١٦٢_١٦٤).
33- أخرجه البخارى- كتاب الأدب، باب[ما يجوز من الشعر]٨/٤٣، ومسلم- باب:[كتاب الشعر] ٤/١٧٦٨، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

تعالى. فلا يلتفت إلى سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، وكيف لا يكون كذلك وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقى الحق وكل ما سواه فانٍ وهالك وباطل، وهو وحده سبحانه المُتفرد بالعزة والجبروت والبقاء.

وإذا انصرفت همة المؤمن عن شهوات الدنيا وأبى أن يستغرق فيها أو يتنافس مع غيره عليها، وقد وقف على حقيقتها فلم يعد يركن إليها أو يميل بقلبه نحوها، فإن ذلك هو مُفتاح السعادة، ولا يفعل ذلك إلا من غمره الحق سبحانه وتعالى بفيض الرضا والقناعة وبَصّره بما يغفل عنه كثير من الناس ومن علم علوه جل جلاله سبحانه فعليه أن يتصاغر فى عينه، ويتواضع لربه فى نفسه، وعلامة ذلك أن يُعظم أمر الله عزوجل فلا يكون له فى الطاعة تقصير، ولا منه لأداء حق الله تأخير، فإذا تحققت للعبد تلك الشروط، واجتهد فى تحصيلها تدفقت عليه الكرامات ونال من الله تعالى المواهب والعطايا الوفيرة التى لا حد لها، وحفظه الله ووقاه السوء كله لكونه قد حفظ أمره، ووقف عند حدوده، ووقف بين يدى ربه فى مقام الذل والانكسار، مُتضرعاً خاشعاً مُلتمساً عونه وتأييده.

ومن ارتقى بهمته وسما بروحه إلى رب السموات والأرض فعند ذلك يكون عظيم الهمة، شريف الإرادة، جليل الحال، لا يتعزز بدنياه، ولا يرضى بأحد دون "الله" مولاه فيكفيه الله ما لابد منه ويجعل الكون بأسره خادماً له فلا يستوحش من الغربة لما وجده من الإيناس والقربة(٣٤).

وعليه فإن أكثر المُحققين على أن من عَبد الله تعالى لطلب الثواب جهل وسخف، ويدل عليه وجوه:

34- شرح أسماء الله الحسنى للإمام القشيرى ص (١١٢)،أسرار المعانى فى أسماء الله الحسنى د/محمود السيد حسن ص ٣٢، المقصد الاسنى ص (٦٠)،

الأول:أن من عَبد الله ليتوصل بعبادته إلى شئ آخر كان المعبود فى الحقيقة هو ذلك الشئ، فمن عَبد الله لطلب الثواب كان مَعبوده فى الحقيقه هو الثواب، وكان الله تعالى وسيلة إلى الوصول إلى ذلك المعبود، وهذا جهل عظيم.

الثانى:أنه لو قال:أُصلى لطلب الثواب أو للخوف من العقاب،لم تصح صلاته. الثالث:أن من عمل عملاً لغرض آخر كان بحيث لو وجد ذلك الغرض بطريق آخر لترك الواسطة، فمن عَبد الله للأجر والثواب وكان بحيث لو وجد الأجر والثواب بطريق آخر لم يعبد الله، ومن كان كذلك لم يكن مُحباً لله ولم يكن راغباً فى عبادة الله، وكل ذلك جهل، ومن الناس من يعبد الله لغرض أعلى من الأول وهو أن يتشرف بخدمة الله، لأنه إذا شرع فى الصلاة حصلت النية من القلب، وتلك النية عبارة عن العلم بعزة الربوبية وذلة العبودية، وحصل الذكر فى اللسان، وحصلت الخدمة فى الجوارح والأعضاء فيتشرف كل جزء من أجزاء العبد بخدمة الله، فمقصود العبد حصول هذا الشرف(٣٥).

الفائدة الرابعة:وصفات الإلهية:هى صفات الكمال المُنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص، ولهذا يُضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى"لله الأسماء الحسنى" فعلم أن اسمه "الله" مُستلزم لجميع معانى الاسماء الحسنى، ودال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل، وتبيين لصفات الإلهية التى اشتق منها اسم "الله" دال على كونه مألوها معبوداً تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه فى الحوائج كلها، وذاك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المُتضمنين لكمال الملك.

35- تفسير الرازى (١٥٨/١).

والحمد وإلهيته و ربوبيته ورحمانيته ومُلكه مُستلزم لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحى ولا سميع ولا بصير، ولا قادر ولا مُتكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم فى أفعاله(٣٦).

الفائدة الخامسة: فى بيان فائدة إدخال كلمة اسم على لفظ الجلالة:

وإنما أُدخل لفظ اسم مُضافاً إلى علم الجلالة إذ قيل:بسم الله، ولم يقل بالله لأن المقصود أن يكون الفعل المشروع فيه من شؤون أهل التوحيد الموسومة باسم الإله الواحد ولذلك تقحم كلمة اسم فى كل ما كان على هذا المقصد كالتسمية على النسك قال تعالى:"فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه"{الأنعام:١١٨} وقال:"وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه"{الأنعام:١١٩} وكالأفعال التى يقصد بها التيمن والتبرك وحصول المعونة مثل"اقرأ باسم ربك"{العلق:١} فاسم الله هو الذى تمكن مقارنته للأفعال لا ذاته، ففى مثل هذا لا يُحسن أن يقال بالله لأنه حينئذ يكون المعنى أنه يستمد من الله تيسيراً وتصرفاً من تصرفات قدرته وليس ذلك هو المقصود بالشروع، فقوله تعالى"فسبح باسم ربك العظيم"{الواقعة: ٩}أمر بأن يقول سبحان الله،وقوله" ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً"{الإنسان:٢٦} أمر بتنزيه ذاته وصفاته عن النقائص، فاستعمال لفظ الاسم فى هذا بمنزلة استعمال سمات الإبل عند القبائل، وبمنزلة استعمال القبائل شعار تعارفهم واستعمال الجيوش شعارهم المُصطلح عليه.

والخلاصة:أن كل مقام يقصد فيه التيمن والانتساب إلى الرب الواحد الواجب الوجود يعدى فيه الفعل إلى لفظ اسم الله كقوله:"وقال اركبوا فيها بسم الله

36- التفسير القيم للإمام ابن القيم ص (٣٢)، البيهقى فى الأسماء والصفات (٥٧/١).

مجراها ومرساها"{هود: ٤١} وفى الحديث فى دعاء الأضطجاع"باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه"(٣٧).

وكذلك المقام الذى يقصد فيه ذكر اسم الله تعالى كقوله تعالى:"فسبح باسم ربك العظيم"{الوقعة:٩٦} أى قل سبحان الله "سبح اسم ربك الأعلى" {الأعلى:١} وكل مقام يقصد فيه طلب التيسير والعون من الله تعالى يعدى الفعل المسؤول إلى علم الذات باعتبار ما له من صفات الخلق والتكوين كما فى قوله تعالى" ومن الليل فاسجد له"{الإنسان: ٢٦}.

وقوله فى الحديث"اللهم بك نصبح وبك نمسى"(٣٨). أى بقدرتك ومشيئتك وكذلك المقام الذى يقصد فيه توجه الفعل إلى الله تعالى كقوله تعالى"فاسجد له" و"سبحه" أى نزه ذاته وحقيقته عن النقائض. فمعنى"بسم الله الرحمن الرحيم" اقرأ قراءة ملابسة لبركة هذا الاسم المبارك(٣٩).

المطلب الخامس

التعريف باسميه تعالى {الرحمن الرحيم} و الفرق بينهما.

أما اسمه تعالى" الرحمن" فقد اختلفوا في اشتقاقه فقال بعضهم: لا اشتقاق له ؛ لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه ، ولأنه لو كان مشتقا من الرحمه ، لا تّصل بذكر المرحوم ، فجاز أن يقال: الله رحمن بعباده ، كما يقال: رحيم بعباده. وأيضا لو كان مشتقا من الرحمة ، لم تُنكره العرب حين سمعوه ، إذ كانوا لا

37- اخرجه البخارى فى صحيحه- كتاب الدعوات، باب [التعوذ و القراءة عند المنام] ٨٧/٨، عن ابى هريرة رضى الله عنه.
38- اخرجه ابن عدى فى الكامل فى الضعفاء،٣٧٧/١
39- التحرير والتنوير (١٤٩/١_١٥٠).

ينكرون رحمة ربهم ، وقد قال الله عز وجل: { وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن }. {الفرقان: ٦٠} الآيه (٤٠).

ولما كتب علي رضي الله عنه في صلح الحديبية بأمر النبي صلى الله عليه وسلم: { بسم الله الرحمن الرحيم }. قال سهيل بن عمرو: أما { بسم الله الرحمن الرحيم} فما ندري ما {بسم الله الرحمن الرحيم } ! ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم. الحديث(٤١).

قال ابن العربي: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف ،واستدل على ذلك بقوله:{وما الرحمن}{الفرقان: ٦٠}؟ ولم يقولوا: وما الرحمن ؟ قال ابن الحصار: وكأنه رحمة الله لم يقرأ الآية الأخرى: { وهم يكفرون الرحمن } {الرعد: ٣٠}.

وذهب الجمهور من الناس إلى أن " الرحمن " مشتق من الرحمة ، مبنيٌ على المبالغة ، ومعناه: ذو الرحمة الذي لا نظير له فيه ، فذلك لا يثنى ، ولا يجمع ، كما يثنى " الرحيم " ، ويجمع(٤٢).

قال ابن الحصار: ومما يدل على الاشتقاق ما أخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قال الله عز وجل: أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها ، وصلته ، ومن قطعها ، قطعته))(٤٣). وهذا نص في الاشتقاق ، فلا معنى للمخالفة والشقاق ، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له(٤٤).

---

(40) من كلام الخطابي ، نقله عنه البيهقي في الاسماء والصفات ١/١٣٥- ١٣٦.
(41) أخرجه أحمد في المسند (١٣٨٢٧) ، والبخاري (٢٧٣١ – ٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس.
(42) الاسماء والصفات ١/١٣٦.
43 – سنن الترمذي (١٩٠٧) ، وهو في مسند أحمد (١٦٨٦).
44 – القرطبى ١/١٦٠،١٥٩

وقد رد ابن جرير الطبرى على من قال: إن العرب كانت لاتعرف "الرحمن" وأورد من أشعارهم ما يبيِّنُ أن التسمية كانت معروفة عندهم،وأن إنكارهم هذا إنما هو جحود وتعنت فى كفرهم (٤٥). أما الرحيم فلا خلاف فى اشتقاقه. والاسمان الجليلان (الرحمن الرحيم) ثابتان بالكتاب والسنة فأما اسمه الرحمن فقد ورد فى الكتاب سبعا وخمسين مرة فضلاً عن تكرره فى البسملة فإن اسمه تعالى الرحمن ورد فى القرآن والسنة مطلقاً معرفاً ومنوناً مفرداً ومقترنا مراداً به العلمية ودالاً على كمال الوصفية ، وقد ورد المعنى مسنداً إليه محمولاً عليه كما جاء فى قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) {الاسراء:١١٠} وأمّا اسمه تعالى(الرحيم) فقد ورد هذا الاسم فى كتب السنة وفى القرآن الكريم بلفظه وقد تكرر فى القرآن أكثر من مئة(٤٦). مرة بالإضافة إلى تكرره فى البسملة.

وأمّا ورود اسم الرحمن فى السنة فقد جاء فيما أخرجه أحمد وصححه الألبانى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّم قال: (الخيل ثلاثة ففرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان فأما فرس الرحمن فالذى يربط فى سبيل الله)(٤٧). وفى المسند أيضاً وصححه الألبانى من حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبى صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّم قال: (قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى.... الحديث(٤٨).وكذلك

45 – تفسير الطبرى ١/.١٣١،١٣٠

46– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي ص ٣٠٧

47– المسند (٣٩٥/١) (٣٧٥٦) ، وصححه الألبانى فى إرواء الغليل (١٥٠٨) و صحيح الجامع(٣٣٥٠).

48– المسند (١٩١/١) (١٦٥٩) ، و انظر السلسة الصحيحة (٤٩/٢) (٥٢٠).

من حديث عبد الرحمن بن خنبش رضى الله عنه وصححه الألبانى فى دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن.... الحديث)(٤٩).

وأمّا اسمه تعالى الرحيم فقد ورد فى القرآن أكثر من مئة مرة كما سبق بيانه

وأما دليل ثبوته تعالى من السنة فمنها ما رواه البخارى من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: علمنى دعاءً أدعو به فى صلاتى ، قال "قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم)(٥٠). وعند أبى داود وصححه الألبانى من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: (إن كنا لنعد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فى المجلس الواحد مائة مرة: ربى اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم)(٥١).

والفرق بين الرحمن والرحيم من جهتين:

الأولى: من حيث ورودهما فى القرآن فاسم الرحمن لم يقترن فى القرآن إلا بلفظ الرب أو لفظ الرحيم كما فى قوله تعالى "إن ربكم الرحمن فأتبعونى وأطيعوا أمرى" {طه٩٠}

وكما فى قوله"الرحمن الرحيم"{الفاتحة: ٢}

49- المسند (٤١٩/٣) (١٥٨٥٩) ، و انظر السلسة الصحيحة (٤٩٥/٢) (٨٤٠).
50- البخارى فى كتاب الدعوات ، باب الدعاء قبل السلام (٢٨٦/١) (٨٤٠).
51- أبو داود فى كتاب الوتر ، باب فى الاستغفار (٨٥/٢) (١٥١٦) صحيح أبى داود (١٣٥٧) وصحيح ابن ماجه (٣٢١/٢) (٣٠٧٥) ، والسلسة الصحيحة (٥٥٦).

وأما اسمه تعالى الرحيم فقد جاء مقترناً بكثير من أسمائه سبحانه فى القرآن فقد جاء مقترناً باسمه البر كما فى قوله تعالى "إنه هو البر الرحيم" {الطور:٢٨} وجاء مقترناً باسمه تعالى التواب كما فى قوله " أنه هو التواب الرحيم" {سورة البقرة:٣٧} وجاء مقترناً باسم الرب فى قوله تعالى "سلام قولا من رب رحيم" {سورة يس:٥٨} وجاء مقترناً باسمه الغفور كما فى قوله تعالى إن الله غفور رحيم"{سورة التوبه:٥} وجاء مقترناً باسمه الرؤوف فى قوله: "إن الله رؤوف رحيم" {سورة التوبة:١١٨} وجاء مقترناً باسم الودود فى قوله "إن ربى رحيم ودود" {سورة هود:٩٠}

وأما الجهة الثانية فهى من حيث دلالة كل منهما على الرحمة وذلك من وجوه:

الأول: أن الرحمة التى دل عليها اسم الرحيم تلحق المؤمنين ، فالله عز وجل رحمته التى دل عليها اسمه الرحمن شملت الخلائق فى الدنيا ، مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم ، لكنه فى الآخرة رحيم بالمؤمنين فقط(٥٢). وهذا الوجه مبنيٌ على الفرق بينهما فى الصيغة فإن رحمن على وزن فعلان هو من صيغ المبالغة وأمَّا رحيم فهو على وزن فعيل بمعنى فاعل ، وفعلان أقوى فى الدلالة على المبالغة فى الرحمة من رحيم فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى(٥٣).

52- تفسير أسماء الله الحسنى ص (٢٨) ، مناهل العرفان (٦٢/٢) ، أسماء الله الحسنى الطبعة ص(٤٨) أ/ محمود عبد الرزاق

53- شرح أسماء الله الحسنى للرازى ص (١٦٦) وما بعدها ، الزجاج ص (١٧٦، ١٧٧) ، وفتح البارى (٣٥٨/١٣_٣٥٩) ، والأسماء الحسنى للغزالى ص (٢٦) ، والشرباصى (٢٦/١) ومابعدها ، والأسماء الحسنى للجمل ص (٩١) ، وكتاب الزينة للرازى (٢٣/٢) ، اسماء الله الحسنى حسين مخلوف ص (٣٥)، البرهان (٥٠٥/٢).

الثانى: أن اسم الرحمن لا يسمى به إلا الله تعالى ، بخلاف الرحيم الذى يمكن أن يطلق على الله وعلى غيره. وقد جاء فى الحديث: "قال الله عز وجل: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى)"(٥٤).

وأمّا الرحيم فقد وقع وصفاً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فى قوله تعالى: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم" {التوبة:١٢٨}(٥٥).

الثالث: أن معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم ، ومعنى الرحيم المنعم بدقائقها(٥٦).

الرابع: الملك العظيم العادل، بدليل قوله تعالى:"الملك يومئذ الحق للرحمن"{سورة الفرقان:٢٦} إذ الملك يقتضى العظمة والقدرة(٥٧).

أما الرحيم فهو دال على أنه تعالى المُثيب على العمل، الرفيق بالمؤمنين العاطف على خلقه بالرزق(٥٨).

قلت:فى نظرى أنه لا فرق بين الاسمين الجليلين فى دلالة كل منهما على الرحمة لدليلين:

54- الحديث فى المسند (١٩١/١) (١٦٥٩) ، السلسة الصحيحة (٤٩/٢) (٥٢٠).
55- التوبة:١٢٨ ، البيهقى ص (٧) ، الزجاج ص (٢٨).
56- تفسير الصابونى (١٩/١) ، زاد المسير (٩/١) ، تفسير الألوسى (٥٩/١) ، تفسير القرطبى (١٠٥/١).
57- شرح أسماء الله الحسنى للرازى (١٦٦) وما بعدها، الزجاج ص (٢٨)، البيهقى ص (٧٠_٧١)، وشرح الشرباصى ص (٢٧/١)،وما بعدها، والبرهان (٥٠٣/٣). وقال الزركشى فى البرهان، وبعد أن استعرض السياق لما يزيد على عشر آيات تشتمل على لفظ "الرحمن" قال(: ولا مناسبة لمعنى الرحمة فى شئ من هذه المواضع) البرهان (٥٠٤/٢).
58- الأسماء والصفات للبيهقى ص (٩٩) وما بعدها، والموسوعة له الأسماء الحسنى (١١٦/١) وما بعدها، فتح البارى (٣٥٨/١٣)، الزجاج ص (٣٨).

الأول: أن الله تعالى وصف نفسه بأنه بالمؤمنين رحيم فى قوله تعالى "وكان بالمؤمنين رحيماً" {سورة الأحزاب:٤٣} وكذلك وصف نفسه بأنه رحيم بالكافرين وإن لم يصرح بهم فى قوله " ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما" {سورة الاسراء:٦٦} فالخطاب فى الآية وإن كان موجهاً لكل من يركب البحر مؤمنين وكافرين إلا أن دخول الكافرين فيه أغلب وأولى لأن الآية مكية فى سورة مكية وسياقها فى بيان تعداد فضل الله تعالى عليهم وإقامة حججه على الكافرين المنكرين لوحدانيته فبين لهم جل وعلا أنه رحيم بهم مع كفرهم بدلالة الآية التى بعدها وهى قوله: "وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا" {الاسراء:٦٧} فهذه شاهدة وناطقة بأن قوله "إنه كان بكم رحيما" فى الآية التى قبلها موجة إلى الكافرين.

الثانى: أنه جاء فى الدعاء "يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما"(٥٩).

فالحديث نصٌ فى الدلالة على أن رحيم خاص بالدنيا والدنيا فيها الكافر والمؤمن وعليه فالرحمن والرحيم لفظان بمعنى واحد والرحيم تأكيد للرحمن وذلك مبنى على صيغة (فعلان) التى على وزنها (الرحمن) صيغة تستعمل فى الدلالة على الصفات العارضة (كغضبان وعطشان وظمآن) وصيغة فعيل التى على وزنها تستخدم فى الدلالة على الصفات الذاتية التى لا تنفك عن موصوفها والقرآن جاء على لسان العرب فى لغتهم فلو سمع العربى لفظ الرحمن مجرداً عن الرحيم لاعتقد أن رحمته تعالى غير دائمة ولا ثابتة وإن كثرت فجاء لفظ الرحيم ليزيل هذا

59- صحيح الترغيب والترهيب ٢ / ١٧١ حديث رقم ١٨٢١ ورواهالطبراني في الصغير بإسناد جيد كما قال المنذري، وحسنه الألباني

الاعتقاد الفاسد من ذهن السامع ويؤكد أن رحمته تعالى صفة أزلية دائمة لله تعالى فى الدنيا والآخرة(٦٠).

هذا وقد ذكر العلماء فرقاً آخر بينهما وهو أن الرحمن اسم خاص بالله تعالى لايسمى به غيره من الخلائق واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن} {الإسراء:١١٠} ،

فعادل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ؟ (٦١). وقال: { وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون } {الزخرف:٤٥} ، فأخبر أن " الرحمن " هو المستحق للعبادة جل وعز. وقد تجاسر مسيلمة الكذاب – لعنه الله – فتسمى برحمان اليمامة (٦٢)، ولم يتسم به حتى قرع مسامعه (نعت " الكذاب "(٦٣)، فألزمه الله تعالى نعت " الكذاب " لذلك ، وإن كان كل كافر كاذبا ، فقد صار هذا الوصف لمسيلمة علما يعرف به وإلزامه الله إياه.

وقد قيل في اسمه " الرحمن " إنه اسم الله الأعظم. ذكره ابن العربي. وأماالرحيم فيأتى وصفاً مطلقاً للمخلوقين بدليل أنه تعالى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه رحيم . فى قوله تعالى {بالمؤمنين رءوف رحيم } {التوبة:١٢٨}

60- تفسير المنار.
61-الصحاح (رحم).
62- سلف ص ١٤٩.
63-ليس في النسخ وهو من (م).

المبحث الثانى

أهمية البسملة وفضلها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:أهمية البسملة.

أمّا أهميتها فيكمن أهمية البسملة فى أمور:

الأول:بدء الله تعالى سورة الفاتحة بقوله"بسم الله الرحمن الرحيم"تبركاً باسمه تعالى، وإشادة به وتنويها بذكره(٦٤).

وفى ذلك يقول صاحب الظلال:والبدء باسم الله هو الأدب الذى أوحى الله لنبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وفى أول ما نزل من القرآن باتفاق وهو قوله تعالى"اقرأ باسم ربك الذى خلق"{العلق: ١}وهو الذى يتفق مع قاعدة التصور الاسلامى الكبرى من الله "هو الأول والأخر والظاهر والباطن"{الحديد:١} فهو سبحانه الموجود الحق الذى يُستمد منه كل موجود وجوده، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه فباسمه إذن يكون كل ابتداء. وباسمه إذن تكون كل حركة وكل اتجاه.

ووصفه سبحانه فى البدء بالرحمن الرحيم، يستغرق كل معانى الرحمة وحالاتها وهو المُختص وحده باجتماع هاتين الصفتين، كما أنه المُختص وحده بصفة الرحمن فمن الجائز أن يوصف عبد من عباده بانه رحيم، ولكن من الممتنع من الناحية الإيمانية أن يوصف عبد من عباده بأنه رحمن ومن باب أولى أن تجتمع له الصفتان، ومهما يختلف فى معنى الصفتين أيتهما تدل على مدى أوسع من

64- تفسير الكشاف (١/١).

الرحمة، فهذا الاختلاف ليس مما يعنينا تقصيه، إنما نخلص منه إلى استغراق هاتين الصفتين مُجتمعين لكل معانى الرحمة وحالاتها ومجالاتها.

وإذا كان البدء باسم الله وما ينطوى عليه من توحيد الله أدب معه يمثل الكلية الأولى فى التصور الاسلامى فإن استغراق معانى الرحمة وحالاتها ومجالاتها فى صفتى "الرحمن الرحيم" يُمثل الكلية الثانية فى هذا التصور ويقرر حقيقة العلاقة بين الله والعباد (٦٥).

الثانى: أن فى البدء بالبسملة جذباً لانتباه السامع، وتنبيه بأن ما يعقبها أمر مهم ذو بال ينبغى الإصغاء إليه والتأمل فيه والعمل بمضمونه.

الثالث: ومما يدل على أهمية البسملة اختلاف الفقهاء فى حكمها عند الوضوء وسبب أختلافهم ما رواه أبو هريره عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال:"لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه"(٦٦). فذهب الجمهور إلى أن البسملة مستحبة عند إرادة الوضوء وذهب بعض أهل العلم إلى القول بوجوبها ، وإذا كان عالماً بالحكم ذاكراً له، فإن جهل حكمها أو نسيها فلا حرج عليه ولا يلزمه إعادة الوضوء(٦٧).

كان رسم المتقدمين إذا كتبوا أن يبدؤوا بأنفسهم: من فلان الى فلان(٦٨). ويشهد لذلك ما رواه الربيع عن أنس قال: ما كان أحدُ أعظم حرمة من النبى صَلَّى

65- الظلال (٢٢/١).
66- مسند أحمد (٤١٨/١) ، سنن أبى داود رقم (١٠١) ، ابن ماجه رقم (٣٩٩) وحسنة الألبانى رحمه الله فى (الإرواء) (١٢٢/١) وهو حديث حسن بشواهد وقد حسنه غير واحد من أهل العلم وهو دال على مشروعية التسمية فى الوضوء.
67- مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (١٠٠/٧) ، كتاب الأدعيه والأذكار (١١٦/٢).
68- تفسير الرازى (١٦٩/١) ، تفسير القرطبى (١٥١/١).

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكان أصحابه إذا كتبوا بدؤوا بأنفسهم(٦٩) ، وقال ان سيرين: قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم "إن أهل فارس إذا كتبوا بدؤوا بعظمائهم فلا يبدأ الرجل إلا بنفسه"(٧٠). و يشهد له ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أيما كتاب لم يكن مختوماً فهو أغلف (٧١). إن البدء باسم الله فى سورة الفاتحة، وفى كل سورة من سور القرآن ما عدا سورة التوبة- يرشد المُسلم إلى أن يبدأ أعماله وأقواله بـــ"بسم الله الرحمن الرحيم"، طلباً لمعونة الله وتوفيقه، ومخالفة للمُشركين الذين يبدؤون أعمالهم باسماء آلهتهم. ذلك أن الله تعالى"أدّب نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بتعليمه وتقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقديم وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدّبه به من ذلك، وعلّمه إياه منه لجميع خلقه سنة يستنون بها، وسبيلاً يتبعونه عليها فى افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل"بسم الله" على ما بطن من مراده الذى هو محذوف(٧٢).

فإن قلت إذا كان ذلك كذلك: لم قدم سليمان عليه السلام اسم نفسه على اسم الله تعالى فى قوله تعالى"إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"{النمل:٣٠}

قلت: يجاب عنه من وجوه: أولها: أن بلقيس لما وجدت ذلك الكتاب موضوعاً على وسادتها ولم يكن لأحد إليها طريق ورأت الهدهد واقفاً على طرف

69- أخرجه الطبراني في الكبير (٦١٠٨١) من حديث سلمان رضي الله عنه.

70- الجامع لأحكام القرآن سورة النمل تفسير قوله تعالى: ((قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم))

71 - تفسير القرطبي ١٦/١٥٢ ، بستان العارفين ص٦٣-٦٤.

72- تفسير الطبرى (٥٠/١)، وبحث "أضواء على الإعجاز البلاغى فى سورة الفاتحة "د/صالح محمد أبو بكر الزهرانى، مجلة البحوث والدراسات القرآنية _ العدد الرابع _ بالمملكة العربية السعودية ص(١٤١).

الجدار علمت أن ذلك الكتاب من سليمان ، فأخذت الكتاب وقالت: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، فقوله (إنه من سليمان) من كلام بلقيس لا كلام سليمان.

الثانى: لعل سليمان كتب على عنوان الكتاب (إنه من سليمان) وفى داخل الكتاب ابتداء بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم) كما هو العادة فى جميع الكتب فلما أخذت بلقيس ذلك قرأت ما فى عنوانه فقالت إنه من سليمان ، فلما فتحت الكتاب قرأت بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالت: وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.

الثالث: أن بلقيس كانت كافرة فخاف سليمان أن تشتم الله إذا نظرت فى الكتاب فقدم اسم نفسه على اسم الله تعالى ليكون الشتم له لا لله تعالى.

قال أبو الليث فى كتاب "البستان" له: ولو بدأ بالمكتوب إليه جاز لأن الأمة قد اجتمعت عليه وفعلوه لمصلحةٍ رأوا فى ذلك ، أو نسخ ما كان من قبل ، فالأحسن فى زماننا هذا أن يبدأ بالمكتوب إليه ، ثم بنفسه ، لأن البداية بنفسه تعد منه استخفافاً بالمكتوب إليه وتكبراً عليه ، إلا أن يكتب إلى عبدٍ من عبيده ، أو غلام من غلمانه(٧٣).

قلت: ويمكن أن يضاف جواب خامس وهو أن فعل سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لو كان غير لائق لعاتبه الله تعالى عتاباً لطيفاً على عاداته تعالى فى معاتبة أنبيائه ورسله ولو عاتبه لنقله إلينا كما نقل معاتبته لنبيه داود فى قصة الخصم الذين تسوروا المحراب وكما نقل لنا معاتبته لنبيه سليمان فى قوله " ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب" {ص: ٣٤} وغير ذلك مما حكاه الله لنا من معاتبته لبعض أنبيائه ورسله.

73- بستان العارفين ص(٦٣-٦٤).

المطلب الثانى

فضل البسملة

جاءت الأحاديث والآثار كاشفة عن فضل البسملة منها مارواه الإمام أحمد فى مسنده عن عاصم قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النبى ρ "لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت: تعس الشيطان تعاظم وقال: بقوتى صرعته ،وإذا قلت: بسم الله ،تصاغر حتى يصير مثل الذباب)(٧٤).

فهذا من تأثير بركة بسم الله ، ولذا تُستحَب فى أول كل عمل وقول،فتستحب فى أول الخطبة لما جاء: (كل أمر لا يبدأ فيه بـ"بسم الله الرحمن الرحيم" فهو أجذم)(٧٥).

وتستحب عند الأكل ، لما فى صحيح مسلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال لربيبه عمر بن أبى سلمة:(سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكُل مما يليك)(٧٦). وتستحب عند الجماع ، لما فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبدا"(٧٧).

74- مسند أحمد (٤٩/٦) ، رقم الحديث (٢٠٠٦٩) ، حديث رديف النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، سنن النسائى الكبرى (١٠٣١٢) ، سنن أبى داود (٤٩٨٢) ، كنز العمال (١٢٤٤_١٢٧٤) من طريق أبى تميمة الهُجيمى ، بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم (٤:٢٩٢). وبلفظ آخر عن أبى هريرة. بإسناد قوى.

75- سنن أبى داود (٦٧٧/٢) ، رقم الحديث (٤٨٤٠) ، كتاب الأدب ، باب الهدى فى الكلام.

76- صحيح مسلم (١٩٣/١٣) ، رقم الحديث (٥٢٣٧) ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب.

77- البخارى (٣٤٧/٥) ، رقم الحديث (٦٠٢٥) ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أتى أهله ، مسلم (٢٤٦/١٠) ، رقم الحديث (٣٥١٩) ، كتاب النكاح ، باب مايستحب أن يقول عند الجماع ، تفسير ابن كثير (١٧/١ ، ١٨).

ومن فضلها كما قال القرطبى أنها قسم من ربنا نزله عند راس كل سورة يقسم لعباده: إن هذا الذى وضعت لكم يا عبادى فى السورة حق ، وإنى أفى لكم بجميع ما ضمَّنت فى هذه السورة من وعدى ولطفى وبرّى(٧٨). " وبسم الله الرحمن الرحيم" مما أنزله الله تعالى فى كتابنا ، وعلى هذه الأمة خصوصاً ، وبعد سليمان عليه السلام.

وقال بعض العلماء: إن "بسم الله الرحمن الرحيم" تضمنت جميع الشرع ، لأنها تدل على الذات وعلى الصفات. وهذا صحيح(٧٩).

ومن فضلها: أن من كتبها وجوّدها غفر الله له بها ودليله أن على بن أبى طالب رضى الله عنه نظر إلى رجل يكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" فقال له: جَوِّدها ، فإن رجلاً جَوِّدها، فغفر له (٨٠).

ومن فضلها: أن بعض العلماءعداه من تيجان السور(٨١).

ومن فضلها أن الشارع الحكيم ندب إلى ذكر البسملة فى أول كل فعل ، كالأكل والشُرب ، والنحر وركوب البحر والذبح إلى غير ذلك من الأفعال ، قال تعالى: "فكلوا مما ذكر اسم الله عليه".{الأنعام:١١٨} وقال تعالى"اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها" {هود:٤١}.وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"اغلق بابك ،

78- نوادر الأصول ص (٤٠١).
79- تفسير القرطبى (١٤٣/١)..
80- أخرج البيهقى فِي شعب الإيمان (٢٦٦٧) ، والخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى(٥٣٣) عن على رضى الله عنه قال:تنوَّ رجل فى "بسم الله الرحمن الرحيم" فغفر له. وقواه ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢٦٠/١) مع أن فى إسناده عمر بن حفص ، وهو ضعيف وقال له حكم الرفع.
81- المحرر الوجيز (٦٠/١) ، تفسير القرطبى (١٤٤/١).

واذكر اسم الله ، واطفى مصباحك ، واذكر اسم الله ، وخمر إناءك ، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك ، وذاكر اسم الله"(٨٢).

وقال: "إن الشيطان ليستعمل الطعام ألا يُذكر اسم الله عليه" (٨٣).

ومن فضلها أيضاً ما ذكره الرازى فى تفسيره أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة قال {بسم الله مجراها ومرساها} فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة ، فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يبقى محروماً عن النجاة،وأيضاً أن سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا وخير الاخرة بقوله{إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم} فالمرجو أن العبد إذا قاله فاز بملك الدنيا وخير الاخرة.

وأيضاً أن البسلمة لما كان المحذوف منها تقديره أبدء من أجل التخفيف دل على أن المقصود منه أن العبد فى أول ما شرع فى العمل كان مدار أمره على التسهيل والتخفيف والمسامحة ، فكأنه تعالى فى أول كلمة ذكرها لك جعلها دليلاً على الصفح والإحسان(٨٤).

وأيضاً من فضلها ما جاء عنه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال:"من رفع قرطاساً من الأرض فيه"بسم الله الرحمن الرحيم" إجلالاً له تعالى كتب عند الله من الصديقين ، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين"(٨٥).

82- اخرجه البخارىفى صحيحه – كتاب [بدء الخلق باب صفة ابلـيس] ١٥٠/٤، رقـم (٦٣٨٨) ،و مسلم – كتاب الأشربه، باب: [الأمر بتغطية الإناء] ١٥٩٥/٣ من حديث جابر رضى الله عنهما، وأحمد (٦٣٨٨).

83- قطعة من حديث حذيفة رضى الله عنه ، أخرجه أحمد (٢٣٢٤٩) ، ومسلم فى صـحيحه- كتـاب الاشربه- باب:[آداب الطعام والشراب] ١٥٩٧/٣.

84- تفسير الرازى (١٦٨/١،١٦٩).

85- ضعيف ذكره السيوطي فى الدر المنثور ١ / ١٢، و الألبانى فى السلسلة الضعيفة تحت رقم ٢٦٨، و العجلونى فى كشف الخفاء و الالباس ٣٤٩/٢،رقم ٢٤٨٤، وقال رواه الدار قطنى فى الأفراد عـن أبـى هريرة مرفوعا.

وعن أبى هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال:يا أبا هريرة ، إذا توضأت فقل بسم الله: فإن حفظتك لا تبرح أن تكتب لك الحسنات حتى تفرغ ، وإذا غشيت أهلك فقل بسم الله ، فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة ، فإن حصل من تلك الواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعد أنفاس أعقابه إن كان له عقب ، حتى لا يبقى منه أحد يا أبا هريرة إذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله ، يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة وإذا ركبت السفينة فقل: بسم الله والحمد لله ، يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها(٨٦).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا: "بسم الله الرحمن الرحيم"(٨٧). والإشارة فيه أنه إذا صار هذا الاسم حجاباً بينك وبين أعدائك من الجن فى الدنيا أفلا يصير حجاباً بينك وبين الزبانية فى العاقبة.

ومن فضلها أن رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" من توضأ ولم يذكر اسم الله تعالى كان طهوراً لتلك الأعضاء ، ومن توضأ وذكر اسم الله تعالى كان طهوراً لجميع بدنه"(٨٨)فإذا كان الذكر على الوضوء طهوراً لكل البدن فذكره عن صميم القلب أولى أن يكون طهوراً للقلب عن الكفر والبدعة(٨٩).

86- اخرجه الطبرانى فى الصغير ٧٣/١ عن أبى هريرة، واسناده حسن.
87- اخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٠٥/١، وقال رواه الطبرانى فى الأوسط باسنادين أحدهما سعيد بن مسلمة الأموى ضعفه التجارى و غيره ووثقه ابن حبان،و ابن عدى وبقية رجاله موثوقون.
88- اخرجه الدار قطنى ٧٥/١، باب التسمية على الوضوء عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعاً،و الحديث ضعيف فيه عبدالله بن حكيم الداهرانى البصرى. قال أحمد ليس بشئ وكذا قال ابن المدينى وغيره، وقال الذهبى فى الميزان، وابن حجر فى التلخيص هو متروك.
89- تفسير الرازى (١٧٢،١٧١/١).

و من فضلها: ما رواه الشعبى والأعمش ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يكتب"باسمك اللهم حتى أمر أن يكتب (بسم الله فكتبها ، فلما نزلت:" قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن"{الاسراء:١١٠} ، كتب: "بسم الله الرحمن: فلما نزلت: "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم"{النمل:٣٠} كتبها(٩٠).

وفى "مصنف أبى داود":قال: الشعبى وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمارة إن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) حتى نزلت سورة النمل(٩١).

ومن فضلها:ا تفقت الأمة على جواز كتبها فى أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل ، فإن كان الكتاب ديوان شعر ، فروى مجاهد عن الشعبى قال: أجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر (بسم الله الرحمن الرحيم). وقال الزهرى: مضت السنة ألا يكتبوا فى الشعر (بسم الله الرحمن الرحيم) وذهب إلى رسم التسمية فى أول كتب الشعر سعيد بن جبير ، وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين قال أبو بكر الخطيب: وهو الذى نختاره ، ونستحبه (٩٢).

و من فضلها أيضاً: أنها مطردة للشيطان من البيت والطعام يدل عليه ما أخرجه مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول:"إذا دخل رجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لامبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان: أدركتم المبيت ،

90- أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره (٨١/٢) عن الشعبى وحده ، المحرر الوجيز (٢٦/١) الدر المنثور (١٠٦/٥ ، ١٠٧).
91- سنن أبى دلود بإثر الحديث (٧٨٧) وهو مرسل.
92- الجامع لأخلاق الراوى (٤٠٥/١_٤٠٧) ، تفسير القرطى (١٥٠/١).

وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء"(٩٣) وأما أنها مطردة للشيطان عن الطعام فيدل عليه ما رواه عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال: "كنت غلاماً فى حجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكانت يدى تطيش فى الصحفةِ ، فقال لى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: يا غلام سم الله ، وكل بيمينك، وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتى بعدُ"(٩٤).

ومن فضلها: أنها شرعت عند ركوب الدابة بدليل ما رواه على بن ربيعة قال: "شهدت علياً رضى الله عنه وأتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال: بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله ، ثم قال (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال: سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك فقيل: يا أمير المؤمنين من أى شئٍ ضحكت؟ قال: رأيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فعل كما فعلت ، ثم ضحك ، فقلت: يارسول الله من أى شئٍ ضحكت؟ قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لى ذنوبى يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى"(٩٥).

وقال "من لم يذبح فليذبح باسم الله"(٩٦).

وشكا إليه عثمان بن أبى العاص وجعاً يجده فى جسده منذ اسلم، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"ضع يدك على الذى يألمُ فى جسدك، وقل:بسم الله

93- صحيح مسلم رقم (٢٠١٨).
94- صحيح البخارى رقم (٥٣٧٦) ، ومسلم رقم (٢٠٢٢).
95- سنن أبى داود رقم (٢٦٠٢) ، وسنن الترمذى رقم (٣٤٤٦) ، وصححه الألبانى رحمه الله فى "صحيح الترمذي" رقم (٢٧٤٢).
96- قطعة من حديث جندب بن سفيان البجلى رضى الله عنه، أخرجه احمد (١٨٨١٥)، البخارى (٩٨٥)، ومسلم (١٩٦٠).

ثلاثاً، وقل سبع مرات:أعوذ بعزة الله وقُدرته من شر ما أجدُ وأحاذر"(٩٧)،وهذا كله ثابت فى الصحيح.

وروى ابن ماجة والترمذى عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:(ستر ما بين الجن وعوراتِ بنى آدم، إذ دخل الكنيف أن يقول:بسم الله"(٩٨).

وروى الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها قالت:كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:إذ مس طهوره سمى الله تعالى، ثم يُفرغ الماء على يديه"(٩٩).

97- أحمد (١٦٢٦٨) (دون ذكر التسمية)، مسلم (٢٢٠٢)، اللفظ له، من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه.

98- سنن ابن ماجة (٢٩٧)، سنن الترمذى (٦٠٦) وهو من حديث على رضى الله عنه قال الترمذى:هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، إسناده ليس بذاك القوى.

99- سنن الدارقطنى (٧٢/١) وفيه: يسمى، بدل سمى.

المبحث الثالث

فى بيان لطائف التركيب

وأثره فى تفسير"بسم الله الرحمن الرحيم"

و فيه مطالب

المطلب الأول

فى بيان لطائف التركيب فى "بسم الله الرحمن الرحيم"

والباء فى قوله"بسم الله الرحمن الرحيم" إما أن تكون على معنى الأمر، والتقدير:ابدأ بسم الله ؛ وأما أن تكون داخلة على معنى الخبر،والمعنى:ابتدأت بسم الله؟(١٠٠) فـ"بسم" فى موضع نصب على التأويلين. وقيل المعنى:ابتدائى بسم الله، فـ"بسم" فى موضع رفع خبر الإبتداء وقيل: الخبر محذوف، أى:الابتداء مُستقراً وثابت"بسم الله"فى موضع نصب بثابت مُستقر،وكان بمنزلة قولك:زيد فى الدار وفى التنزيل: "فلما راءه مُستقرا عنده قال هذا من فضل ربى"(١٠١){النمل:٤٠}. فعنده فى موضع نصب، وروى هذا نحاة البصرة.

وقيل ذو التقدير: ابتدائى بسم الله موجود، أو ثابت، فـ"باسم" فى موضع نصب بالمصدر الذى هو ابتدائى(١٠٢).

وفى قوله"بسم الله" ايجاز بالحذف(١٠٣)حيث حُذف الفعل الذى تعلق به الجار والمجرور ليشمل كل فعل يريده المكلف والتقدير مثلاً:"أقرأ" أو "اتلو" أو "أبدأ" أو

100- الكشاف ١/١١.

101- النكت والعيون (١/٤٧-٤٨)، تفسير القرطبى (١/١٥٣).

102- بدائع الفوائد لابن القيم (١/٤٣)، تفسير الطبرى (١/٥٠).

"أهل" أو "أرتحل" أو باسم الله أشرع فى أداء الطاعات بحسب الحال أو السياق. وهذا الحذف له فوائده وأسراره البلاغية.

أولها:- أنه مواطن لا ينبغى أن يتقدم فية سوى ذكر الله فلا يقال: أتلو " بسم الله " أو أعمل، بل يقال " بسم الله " ويقدر المتعلق متأخراًبحسب السياق.

ثانيها: أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية فى كل قول وعمل وحركة وليس فعل أولى بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذكر، فإن أى فعل ذكرته كان المحذوف أعم.

ثالثها: - أن الحذف أبلغ، لأن المتكلم بهذه الكلمة كأنه يدعى الاستغناء بالمشاهد على النطق بالفعل، فكأنه لاحاجة إلى النطق به،لأن المشاهدة والحال دالة على أن هذا الفعل، وكل فعل فإنما هو باسمه تبارك وتعالى(١٠٤).

وتقديم المعول ههنا اوقع كما فى قولة " بسم الله مجريها" {هود:٤١} لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل فى التعظيم ذلك بأن المشركين يبدءون بأسماء ألهتهم فيقولون باسم اللات، وباسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص الله عز وجل بالابتداء، وذلك بتقديمه، تأخير الفعل وذلك بخلاف قوله "اقرأ باسم ربك"{العلق:١}

---

[103]- الايجاز قسمان: الإيجاز القصير وهو أن تكون الألفاظ قليلة ومعانيها كثيرة، وايجاز حذف، وهو أن يحذف من الكلام حرف من كلمة او كلمة أو جملة أجملة فأكثر، لغرض بلاغى مع وجود دليل دليل على المحذوف (انظر البلاغة العربيـة، اسـسها وعلومهـا ٢/٢٩ -٥٩ ت عبـد الـرحمن المـدنى، بغيـة الإيضاح٢/٩٦، البلاغة فنونها و أفنانها٤٧٥، علم المعانى١٤٩)

[104]- تفسير القرطبى (١/١٥٣-- ١٥٤).

تقديم الفعل على المعمول ههنا فى الآية يجوز لأنها أول سورة نزلت وكان الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع ويجوزأن يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة و حققها كقولهم فلان يعطى ويمنع غير متعد إلى مقروء به وأن يكون(باسم ربك) مفعول اقرأ الذى بعده واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالإنبات فى قوله" تنبت بالدهن "{المومنون:٢٠}

على معنى متبركاً باسم الله اقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه(١٠٥). وذلك مبنىّ على جعل الباء فى البسملة إما للاستعانة أو المصاحبة أو الآلة ، ورجح البيضاوى أن تكون للاستعانة ، وجعله للاستعانة مشعر بأن له (حرف الباء) زيادة مدخل فى الفعل حتى أنه لا يتأتى ولا يوجد بدون اسم الله تعالى، ورجح الزمخشرى جعلها للمصاحبة وحجته بأن باء المصاحبة أكثر فى الاستعمال من باء الاستعانة لاسيما فى المعانى وما يجرى مجراها من الأفعال وبأن التبرك باسم الله تعالى تأدب معه وتعظيم له ، ولا يجوز جعله للآلة لأنها مبتذلة وغير مقصودة لذاتها ، وأيضاً مما يضعف كونها للآلة ويجعلها للمصاحبة أقرب أن المشركين كما سبق كانوا يتبركون بذكر اسم ألهتهم ويجعلون ذلك مصاحباً لأفعالهم فناسب أن يرد عليهم فى ذلك ،وأيضاً فإن الباء إذا حملت على المصاحبة كانت أدل على ملابسة جميع أجزاء الفعل لاسم الله تعالى منها ولا يتحقق ذلك إذا جعلت آلة. ويدل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"تسمية الله تعالى فى قلب كل مسلم يسمى أو لم يسم"(١٠٦).

105- تفسير النسفى (٤/١) ، والبيضاوى (٢١/١_٢٢) ، تفسير أبى السعود (٩/١).

106- أخرجه ابن عدى فى الكامل٢٣٨١/٦،و الدار قطنى (٤٨٠٣)، و البيهقى ٢٤٠/٩ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه بنحوه،و نقل ابن عدى عن أحمد تضعيفه. وأخرجه الدار قطنى (٤٨٠٨)، و البيهقى ٢٣٩/٩من حديث ابن عباس مرفوعاً بنحوه وأعله ابن القطان كما فى نصب الراية ١٨٢/٤، أخرجه أيضاًعبد الرزاق(٨٥٤٨)، و الدار قطنى (٤٨٠٦)عن ابن عباس منقول بنحوه.

وأيضاً فإن التبرك باسم الله تعالى شئٌ ظاهر يفهمه العام والخاص ولا يتحقق ذلك فى جعل الباء آله للتبرك باسم الله لأنه يحتاج إلى تدقيق نظر ، وأيضاً فإن جعلها للآلة لا يتفق مع رآى القائلين بأن البسلمة آية من الفاتحة بخلاف جعلها للمصاحبة أو الاستعانة فإنه يتمشى مع المذهبين اللذين سيأتى بينهما ورجح بعض العلماء أنها للاستعانة وحجته أن كل فعلٍ يتقرب به إلى الله تعالى لابد فيه من إعانته سبحانه وأيضاً فإن فى الاستعانة بالله فى كل فعل فيها من الآداب والاستكانة وإظهار العبودية ماليس فى جعلها للمصاحبة ولأن فيها تلميحاً من أول وهلة إلى إسقاط الحول والقوة ونفى استقلال قدر العباد وتأثيرها وهواستفتاح لباب الرحمة و الظفر بكنز لاحول ولا قوة إلا بالله ولأن هذا المعنى أنسب لقوله "إياك نستعين"{الفاتحة: ٤}(١٠٧).

وإنما قال تعالى "باسم الله" ولم يقل "بالله" لأن فى ذكر الاسم بين الباء ولفظ الجلالة إجلالاً وتعظيماً لله تعالى ولأن فى ذكره خروجاً من حكم القسم إلى قصد التبرك لأن أصل الكلام: بالله (١٠٨) وقيل "بسم الله" ولم يقل: بالله، لأن التبرك و الاستعانة بذكر اسمه ، أو لأنه ذكره للفرق بين اليمين والتيمن ، أو للإشعار بأن الفعل المشروع فيه من شؤون أهل التوحيد الموسومة باسم الإله الواحد ، كالتسمية على النُسك كما قال:"فكلوا مِمَّا ذُكِر اسم الله عليه" {الأنعام:١١٨} وكالأفعال التى

و أخرجه أبو داود فى المراسيل(٣٧٨)عن الصلت السدوسى مرسلاًو نقل الزيلعي فـى نـصب الرايـة ١٨٣/٤عن ابن قطان قوله: وفيه [أى فى الحديث] مع الإرسال أن الصلت لايعرف له حال، ولا يعـرف بغير هذا.

[107] تفسير الألوسى:(٤٧/١).

[108]– تفسير القرطبى (١٥٣/١).

يقصد بها التيمن والتبرك وحصول المعونة (١٠٩). وإيضاحاً لهذه اللطيفة البلاغية يذكر الطاهربن عاشور"أن كل مقام يقصد فيه التيمن والانتساب إلى الرب الواحد الواجب الوجود يُعدَّى فيه الفعل إلى لفظ: اسم الله" كقوله تعالى "وقال اركبوا فيها بسم الله مجرها ومرساها" {هود:٤١} وكذلك المقام الذى يقصد فيه ذكر اسم الله تعالى كقوله تعالى:"فسبح باسم ربك العظيم" {الواقعة:٧٤} فمعنى"بسم الله الرحمن الرحيم" أقرأ قراءة ملابسة لبركة هذا الاسم المبارك(١١٠).

المطلب الثانى

فى بيان وصف (الله) تعالى بالرحمن الرحيم ودلالته التفسيرية.

وإنما بدء سبحانه فى البسملة باسمه "الله" لأنه علم على المعبود الحق وجاء اسمه سبحانه "الله" موصوفاً "بالرحمن" والرحيم لوجوه:

الأول:إذا كان سبحانه وتعالى قد وصف ذاته العلية بصفات الجلال والعزة والغلبة والقهر والجبروت ، وتمثل ذلك فى لفظ الجلالة" الله" فقد أتبع تلك الصفات بأوصاف الرحمة واللطف بعبادة ، فهو سبحانه "الرحمن الرحيم" الذى وسعت رحمته كل شئ ولم يشأ أن يعجل بالانتقام ممن عصاه ، أو وقع فى حيز هواه وارتمى بين أحضان الشرك ، وهو جل وعز أقدر على إنزال عذابه بكل من يحيد

---

[109]- تفسير البيضاوى(٣٠/١) ، الكشاف (١٢/١) ، التفسير الكبير (٢٣/١) ، وتفسير أبى السعود (١/١) والتحرير والتنوير (١٤٦/١) ، تفسير القرطبى (١٥٣/١).

[110]- التحرير والتنوير(١٤٦/١).

عن طاعته وينحرف عن صراطه السوى، فتلك هى رحمة الله العظمى بجميع خلقه،الرحمة التى كتبها على نفسه ، الرحمة التى سبقت غضبه،الرحمة االتى يصبها على عباده صباً ، ولو كان يؤاخذهم بما يعبثون ويرتكبون ويفسقون لهلكوا جميعاً ولتوقفت عجلة الحياة ، ولما رأى الناس الفضل والإنعام وإنما شاء سبحانه وتعالى أن يظلل عباده بوارف رحمته وواسع فضله وجزيل إنعامه(١١١).

الثانى:وجاء اسمه سبحانه "الله" موصوفاً "بالرحمن" "الرحيم" تنبيهاً على أن الذى يستحق أن يستعان به فى مجامع الأمور هو الله المعبود الحقيقى المتصف بأنه الإله الحق "الرحمن ، الرحيم" المتفضل على خلقه بالنعم كلها أولها وآخرها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها(١١٢).

الثالث: أنه قدم اسمه الله لأن الله يوجب ولايته قال تعالى:"الله ولى الذين آمنوا" {البقرة:٢٥٧} والرحمن يوجب محبته ،قال تعالى:"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً"{مريم: ٩٦} والرحيم يوجب رحمته "وكان بالمؤمنين رحيماً"{الأحزاب:٤٣}(١١٣).

الرابع: الحكمة فى ذكر هذه الأسماء الثلاثة أن المخاطبين فى القرآن ثلاثة أصناف كما قال تعالى:"فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات" {فاطر:٣٢} فقال: أنا الله للسابقين ، الرحمن للمقتصدين ، الرحيم للظالمين،وأيضا الله معطى العطاء ، والرحمن هو المتجاوز عن زلات الأولياء ، والرحيم هو المتجاوز عن الجفاء ، ومن كمال رحمته كأنه تعالى يقول أعلم منك ما لو علمه

111- أسرار المعانى فى أسماء الله الحسنى د/محمود السيد حسن ، تفسير الرازى (١/١٤٦).
112- تفسير البيضاوى (١/٣٢_٤٢) ، التحرير والتنوير (١/١٤٦).
113- تفسير الرازى (١/١٧١).

أبوالك لفارقاك ، ولو علمته المرأة لجفتك ، ولو علمته الأم لأقدمت على الفرار منك، ولو علمه الجار لسعى فى تخريب الدار ، وأنا أعلم كل ذلك واستره بكرمى لتعلم أنى إله كريم(١١٤).

الخامس:فإن الجمع بين اسمه تعالى "الله" "الرحمن"،"الرحيم" فيه تناسب(١١٥). من حيث إن اسم "الله" تعالى أقوى الاسماء فى تجلى ذاته ،لأنه أظهر الأسماء فى اللفظ وأبعدها معنى عن العقول،فهو ظاهر باطن،يعسر إنكاره ولا تدرك أسراره.وأما اسمه"الرحمن" فهو يفيد تجلى الحق بصفاته العالية،ولذلك قال: " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى"{الاسراء:١١٠} وأما اسمه "الرحيم"فهو يفيد تجلى الحق بأفعاله وآياته ولهذا السبب قال:"ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً" {غافر:٧}.

السادس: أيضاً فإنه سبحانه قدم اسمه "الله" على اسمه "الرحمن" وقدم "الرحمن" على "الرحيم" جرياً على طريقة العرب فى كلامهم هو أنهم إذا أرادوا الإخبار عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه ثم يتبعوه صفاته ونعوته وهذا هو الواجب فى الحكم أن يكون الاسم مقدماً قبل نعته وصفته ، ليعلم السامع الخبر عَمَّن الخبر.

السابع: وأيضاً فيه دلالة على أن أسماءه تعالى التى لا يجب أن يسمى بها أحد غيره والتى من بينها "الله و"الرحمن" هى التى افتتح الله بها كتابه والتى يجب أن تقدم على غيرها من الأسماء التى أباح سبحانه لعباده أن يتسموا بها كالكريم ، السميع ، والبصير(١١٦).

114- المرجع السابق.
115- التناسب: محسن بديع "وهو الجمع بين الأمر وما يناسبه ويسمى أيضاً مراعاة النظير" علم البديع تأليف: د/يسيونى عبد الفتاح ص ١١٦.
116- تفسير الطبرى (٥٨/١).

المطلب الثالث

بلاغة التركيب فى الرحمن الرحيم ودلالته التفسيرية.

وجمع سبحانه بين اسميه (الرحمن الرحيم) لوجوه:

الأول: أن كل منهما مشتق من الرحمة و هذا الاشتقاق دال على أن اسم الرحمة فى أصل وضعه اللغوى موضوع لرقة الخاطر وانعطافه نحوه بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والإحسان إليه ودفع الضر عنه وإعانته على المشاق. فهى من الكيفيات النفسانيه لأنها انفعال ، ولتلك الكيفية اندفاع يحمل صاحبها على أفعال وجودية بقدر استطاعته وعلى قدر قوة انفعاله. فأصل الرحمة من مقولة الانفعال وآثارها فى مقولة الفعل ، فإذا وُصِف موصوف بالرحمة كان معناه حصول الانفعال المذكور فى نفسه وإذا أخبر عنه بأنه رحم غيره فهو على معنى صدر عنه أثر من آثار الرحمة المذكورة إذ لا تكون تعدية فعل رحم إلى المرحوم إلا على هذا المعنى فليس لماهية الرحمة جزئيات وجودية ولكنها جزئيات من آثارها. وعليه فيكون الاشتقاق دالاً على التعبير عن المعانى العالية بأقصى ما تسمح به اللغات مع اعتقاد تنزيه الله من أغراض المخلوقات بالدليل على التنزيه وهو مضمون قول القرآن "ليس كمثله شئ هو السميع البصير" {الشورى:١١} فأهل الإيمان إذا سمعوا أو أطلقوا اسمى الرحمان الرحيم لا يفهمون منه حصول ذلك الأنفعال الملحوظ فى حقيقة الرحمة فى متعارف اللغة العربية لسطوع أدلة تنزيه الله تعالى عن الأعراض ، بل إنه يراد بهذا الوصف فى جانب الله تعالى إثبات الغرض الأسمى من حقيقة الرحمة وهو صدور آثار الرحمة من الرفق واللطف والإحسان والإعانة ، لأن ما عدا ذلك من القيود الملحوظة فى مسمى الرحمة فى متعارف الناس لا أهمية له لولا أنه لا يمكن بدونه حصول آثاره فيهم ، ألا ترى أن المرء قد

يرحم أحداً ولا يملك له نفعاً لعجز أو نحوه وقد أشار إلى ذلك حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى فى المقصد الأسنى بقوله: "الذى يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لم يسمَّ رحمياً إذ لو تمت الإرادة لوفى بها وإن كان عاجزاً فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرحمة والرقة ولكنه ناقص"(١١٧). وبهذا تعلم أن إطلاق نحو هذا الوصف على الله تعالى ليس من المتشابه لتبادر المعنى المراد منه بكثرة استعماله وتحقق تنزه الله عن لوازم المعنى المقصود فى الوضع مما لا يليق بجلال الله تعالى كما نطلق العليم على الله مع التيقن بتجرد حياته عن العادة والتكون ، ونطلق القدرة مع اليقين بتجريد قدرته عن المعالجة و الاستغاثة. فوصفه تعالى بالرحمان الرحيم من المنقولات الشرعية فقد أثبت القرآن رحمة الله فى قوله "ورحمتى وسعت كل شئ" {الاعراف:١٥٦} فهى منقولة فى لسان الشرع إلى إدرادة الله إيصال الإحسان إلى مخلوقاته فى الحياة الدنيا وغالب الاسماء الحسنى من هذا القبيل(١١٨).

الثانى: فى الجمع بين صفتى "الرحمن الرحيم" تأكيد للمعنى المراد ، وهو الدلالة على أنه تعالى هو المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتها(١١٩) لأنه المتصف بالرحمة العامة والخاصة للخلق أجمعين. و(الرحمن) يتناول جلائل النعم وعطائها ، وأصولها و"الرحيم" جاء تتميماً ليتناول ما دق منها ولطف فإنه تفضل بعد تفضل، وإنعام بعد إنعام وتقوية لمطامع الراغبين ووعد لا يخيب آمله(١٢٠).

117-المقصد الأسنى ص ٩٥.
118- التحرير والتنوير (١/١٦٩_١٧٠).
119- تفسير البيضاوى (١/٤٠).
120- الكشاف (١/١٦_١٨) ، تفسير القرطبى (١/١٦١).

الثالث: وقدم سبحانه وصف "الرحمن" على "الرحيم" لأن وصف "الرحمن" أخص وأعرف من "الرحيم" ولأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الاسماء ، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص (١٢١) والجمع بين "الرحمن" و "الرحيم" فى الآية جناس لفظى(١٢٢) بديع لأن كلا الوصفين مشتق من الرحمة ، وفائدته إيجاد الائتلاف بين اللفظين الجليلين وبين معانى كل منهما.

الرابع: قالوا جمع بينهما لأن "الرحمن" اسم عبرانى فجاء معه بـــ"الرحيم" لأن الرحيم عربى(١٢٣) واستدلوا عليه بقول الشاعر:

لن تدركوا المجد أو تشروا عباءكم بالخزأ وتجعلوا الينبوت صمرانا

أو تتركون إلى القسين هجرتكم ومسحكم صليهم رحمان قربانا(١٢٤)

وهذا ضعيف وقول مرغوب عنه كما قال القرطبى(١٢٥).

الخامس: جمع بينهما للدلالة على المبالغة فى رحمة تعالى فـــ"الرحمن"صفة مبالغة من الرحمة، ومعناها أنه انتهى إلى غاية الرحمة كما يدل على الانتهاء سكران وغضبان، والرحمن صفة تختص بالله ولا تُطلق على أحدٍ من الخلق، وهى أبلغ من فعيل الذى على زنة رحيم، وفعيل أبلغ من فاعل، لأن راحماً يُقال لمن رحم ولو مرة واحدة ورحيماً يُقال لمن كثر منه ذلك، والرحمن النهاية فى

121- تفسير ابن كثير (٢١/١).
122- الجناس:[هو أن يجمع بين اللفظين كقوله "فروح و ريحان"]قطوف بلاغية ١٦٤
123- الزاهر (٥٩/١).
124- البيتان لجرير ، من قصيدة يهجو بها الأخطل ، وهما فى ديوانـــه (١٦٧/١) بـــبعض اخـــتلاف ، وذكرهما الزجاجى فى اشتقاق اسماء لله ص (٤٣) وذكر الثانى منها الماوردى فى تفسيره (٥٢/١) وقوله الينبوت: هو شجر الخشخاش ، وشجر آخر عِطام أو شجر الخروب.وقوله صمران: وهو نبـــت مـــن دق الشجر.
125- تفسير القرطبى ١٦١/٠١).

الرحمة وذلك مبنى على أن الرحمة تقضى مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والله تعالى يقضى حاجة عباده المحتاجين إلى الرحمة ولو رفعها عنهم لضاقت بهم الحياة ولتمادوا فى الباطل، فكون الحق سبحانه وتعالى يضع رحمته على عباده مع كثرة ذنوبهم وعظائم جرمهم ويخلصهم من غمرة الجزع ويفتح لهم أبواب الرجاء واللطف، تتضح الحكمة الإلهية التى تبرز معها الرحمة على أعمق صورة وأوضح هيئة هذه من جهة ومن جهة أخرى فإن الرحمة التامة تقتضى إفاضة الخير على المُحتاجين وإرادة النعمة لهم عناية بهم والرحمة العامة هى التى تتناول المُستحق وغير المُستحق، ورحمة الله تعالى تامة عامة، وأما تمامها فمن حيث إسباغ نعمته وتيسير سبلها على عباده المُحتاجين وقضاء حوائجهم بالقدر المعلوم، وأما عمومها فمن حيث شمولها المُستحق وغير المُستحق والعموم يشمل الدنيا والآخرة مثال ذلك رحمته سبحانه وتعالى بالمؤمنين فى الدنيا والآخرة، فهو يفيض عليهم بالخيرات والنعم والبركات ويحقق لهم سبل الاستقامة ويدركون آثار ذلك كله فى دنياهم وآخرتهم فالمرحومون يتلقون من ربهم فوائد الإحسان وفضائل الامتنان، وتلك ميزة مثلى وفضيلة عظمى من آثار رحمته بهم سبحانه وتعالى وشكرهم له على ذلك بجلب المزيد من الخيرات والبركات(١٢٦).

السادس:أنه تعالى جمع بين اسميه (الرحمن، الرحيم) وتقديم اسم الرحمن دال على:

١- أنه تعالى ذوالرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة والذى وسعت رحمته كل شئ.

126- أسرار المعانى فى أسماء الله الحسنى ص (٣٦_٣٧)، تفسير الطبرى (٤٣/١)،تفسير البحر المحيط (١٧/١).

٢- مزيح للعلل، ومزيل الكروب.

٣- المُنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد.

٤- العطوف على عباده بالإيجاد أولاً، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً والاسعاد فى الآخرة ثالثاً.

السابع: دلَّ التركيب على أن ما يستفيده العبد من اسميه تعالى "الرحمن""الرحيم" هو معرفة العبد ببديع أسرارهما. وما يترتب على ذلك من آثار جلية تتسرب إلى أعماقه ووجدانه فُتوقظ غفلة القلب وتُدعمّه بالهمة العالية لأن علو الهمة من الإيمان.

ولعل التخليق بهذه الآداب يقتضى أن يكون للعبد من كل أسم من اسماء الله تعالى حظ يليق به، فحظه من الاسمين الكريمين أن يكون كثير الرحمة والرأفة، وكل من كان اليه أقرب كان بإيصال الرحمة إليه أولى. وأقرب شىء إلى العبد نفسه. فوجب أن يرحم نفسه، ثم يرحم غيره.

ورحمة العبد لنفسه أن يصونها عن الوقوع فى المآثم والشرور، ولا يتبع هواه الذى يشطح به إلى أسوأ الغايات وأفدح الأضرار، فإنه إن لم يكن حريصا على إلجام نفسه بلجام التقوى، انفلت زمامها من يديه وانساق وراء الفسق والمجون، فكأنما أوقع نفسه فى الهلاك وحاق به الخسران المبين، فعند ذلك نقول إنه لم يكن لنفسه راحماً، ويترتب عليه الضلال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة، ولم تكن الرحمة من العبد لنفسه مقصورة على التماس سبل الراحة وطرح الجهد والمشقة عنها فذلك أمر معلوم(١٢٧).

127- أسرار المعانى فى أسماء الله الحسنى ص (٤).

الثامن: إفاد التركيب أن الوقف على قوله " بسم " ناقص قبيح، وعلى قوله " بسم الله " أو على قوله " بسم الله الرحمن " كاف صحيح، وعلى قوله" بسم الله الرحمن الرحيم " تام. واعلم أن الوقوف لابد وأن يقع على أحد هذه الأوجة الثلاثة، وهو أن يكون ناقصاً، أو كافياً، أو كاملاً. فالوقف على كل كلام لايفهم بنفسه ناقص، والوقف على كل كلام مفهوم المعانى وكان ما بعده يكون متعلقا بما قبله يكون كافيا والوقف على كل تام وكان ما بعده منقطعاً عنة يكون وقفاً تاماً .

فإن قلت: إن قوله " الحمد لله رب العالمين " كلام تام، إلا أن قوله " الرحمن الرحيم ملك " متعلق بما قبله، لأنها صفات والصفات تابعة للموصوفات فإن جاز قطع الصفة عن الموصوف وجعلها وحدها آية فلم لم يقولوا " بسم الله الرحمن" آية، ثم يقولوا الرحيم آية ثانية و إن لم يجز ذلك فكيف جعلوا الرحمن الرحيم آية مستقلة فهذا الإشكال لابد من جوابه(١٢٨)وجوابه فى المبحث الآتى.

المطلب الرابع

تحريفات فى تفسير البسملة.

هذا و قد وقفت على جملة من التحريفات فى تفسير البسملة فأردت أن أبينها مصحوبة بأدلة بطلانها التى ذكرها حذاق أهل العلم و الباحثون فمن هذه التحريفات:

أولاً:التحريف في قضية الاسم و المسمى: -

من المعروف والمعلوم من مذهب أهل الحق أن اسمه تعالى (الله) علم على ذاته وعليه فإن اسمه تعالى عندهم عين ذاته(١٢٩)قد حرف المعتزلة و الجهمية

128- تفسير الرازى ١٠٣/١.
129- تفسير القرطبى (١٥٦/١_١٥٧)، وشرح العقيدة الطحاوية تحقيق جماعة من العلماء ط/ المكتب الاسلامى ص (١٣١).

هذا المعنى فذهبوا إلى أن اسمه تعالى غير المسمى ونفس التسمية(١٣٠)"، وقد وافقهم من المفسرين الزمخشري حيث قال: "... فإن قلت: ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة ؟ قلت: فيه ما: أن يتعلق القلم بالكتابة في قولك: كتبت بالقلم ، على المعنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيئ معتمدا به في الشرع واقعا على السنة، حتى يصدر بذكر الله. .."(١٣١) وتعقبه ابن المنير بقوله: " وفي قوله حيد عن الحق لمعتقد لأهل السنة والجماعة (١٣٢)" ، والقول بأن الاسم غير المسمى هو قول الجهمية و والمعتزله وبعض الاشاعرة ، ومن قال بقولهم من الفرق الضالة.

سبب التحريف:

البحث في مسألة الاسم ؛ وهل هو المسمى أو غيره من بحوث المتكلمين وأهل النزاع من الفرق الضالة ، فالخوض فيه حادث لم يكن معروفاً عند الصحابة رضي الله عنهم ولا تابعيهم ، وقد ابتدعه الخائضون في أسماء الله وصفاته توطئة لنفيها وتحريفها و عند دراسة الردود على نفاة أسماء الله وصفاته الذين يحرفونها بالتمثيل ، والتشبيه ، والتعطيل ، يجدر التنبيه لسبب هذا النفي والتعطيل ؛ وهو أن هؤلاء المحرفة تملي لهم عقولهم التي حكموها على كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التجسيم ، و تشبيه الخالق بخلق ، فهم يزعمون أنهم ينزهون الله عز وجل ؛ والحق أن تنزيهه في ترك الخوض في أسمائه وهذا هو منهج السلف الصالح. فهو إذا خلص لهم القول بأن الاسم غير المسمى ، تكون الأسماء مخلوقه على زعمهم ، فكان الله ولم تكن له أسماء ، ولا صفات ،حتى خلق له أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم ، وعليه فإنه

(130) تفسير الرازي ج١ ص٩٥
(131) الكشاف ج١ ص ٤٦، ٤٧
(132) قول ابن المنير صحيح ،: الانتصاف على حاشية الكشاف ج١ ص ١٣

يسهل عليهم تعطيل الأسماء والصفات ، يقول بكرابو زيد: " ما نطق الصحابة رضي الله عنهم في قضية الاسم والمسمى ومضى أمر الأمة على السداد ، والتزام نصوص الكتاب والسنة ، ولما ذر قرن الفتن الكلامية ، و تفوهت المعتزلة والجهمية بمذهبهم الكفري الضال ، الذي منه (أن أسماء الله مخلوقة) رفضهم الناس ، ونفروا منهم و وقام العلماء في وجوه الجهمية والمعتزله ، فردوا باطلهم ، وفضحوا كفر مقالاتهم ، و حينئذ غلفوا مقالاتهم هذه بعبارة (الاسم غير المسمى)، وفلسفتهم في هذا أنه إذا كان الاسم غير المسمى جاز أن يكون مخلوقاً فصاروا يمتحنون الناس في عقائدهم بهذا السؤال البدعي: هل الاسم هو المسمى أو غيره ؟ فمن قال هو غير المسمى ، لزمه في اعتقادهم: أن الاسم مخلوق " (١٣٣).

وأما القائلون: الاسم هو المسمى من الفرق الضالة ، قصدوا أن اسماء الله هي عين ذاته مجردة من الصفات ، كقولهم عليم بذاته ، سميع بذاته ، بصير بذاته ، لابعلم ، ولا بسمع ولا بقدرة. فهدفهم تعطيل الصفات أيضا بناء على قولهم الاسم هو المسمى. (١٣٤).

فإذا أراد المفسر بقوله الاسم هو المسمى أو غيره نفس معناهما عند الجهمية ، المعتزله ، وغيرهم من المبتدعه، فقد حرف المعاني في كتاب الله عز وجل.

الرد على التحريف:

كما سبق فإن الخوض في مسألة الاسم: هل هو المسمى أو غيره ؟ مسألة كلامية ابتدعها الفرق الضالة ، ودخل فيها أهل السنة اضطراراً لبيان الحق ، فذهب جمهور العلماء منهم إلى أنه لا يقال: الاسم غير المسمى ولا هو المسمى ؛ بل الحق في ذلك أن يقال: الاسم للمسمى ، وقد نقل الطبري وغيره من العلماء أن

(133) معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ص ٩٥
(134) ينظر: أمالي ابن سمعون لأبي الحسن محمد بن عنبس ج١ ص ١٠ ، الخصائص لابن جني ج٣ ص ٢٤ ، مجموع الفتاوى ج١٢ ص ١٧٠ ، شفاء العليل ٢٧

(الاسم للمسمى)اختيار أكثر المنتسبين إلى السنة ؛أمثال الشافعي،احمد بن حنبل، وغيرهما(١٣٥) ، قال شيخ الاسلام: " وأما الذين يقولون إن الاسم للمسمى كما يقول أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب ، والسنة ، والمعقول " (١٣٦).

واستدلوا بأدلة صريحة في الكتاب والسنة ، تثبت أن الاسماء للمسميات ، فحسب الإنسان أن يرجع إليها ولا حاجة للخوض في مسائل أهل الجدل والكلام.

ومن هذه الادلة في كتاب الله عز وجل:

قوله تعالى: {ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } {الاعرف:١٨٠} ، وقوله تعالى: { قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا } {الاسراء:١١٠} ، وقوله تعالى:{الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى} {طه:٨}.

ومن أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: ما جاء في دعاءه اللهم: (..أسألك بكل اسم هو لك و سميت به نفسك،أوأنزلته في كتابك،أو علمته أحدا من خلقك،اواستأثرت به في علم الغيب عندك..) الحديث (١٣٧).

ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعه وتسعين اسما ، مائه إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة. ..)

135- ينظر: صريح السنة للطبري ص ٢٦ الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى العمراني ج٣٠٦٢ ، مجموع الفتاوى ج٦ ص ٢٠٧ ، شرح القصيدة النونية ج١ ص٦٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٣

136- مجموع الفتاوى ج٦ ص ٢٠٧

137-أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج٦ ص ٤٠ ، وذكره الهيثمي في زوائده ج٢ ص ٩٥٧ وأحمد في المسند ج١ ص ٤٥٢ ،أبو علي في مسنده ج٩ ص ١٩٨ ، ابن حبان في صحيحة ج٣ ص ٢٥٣ ، الطبراني في المعجم الكبير ج١٠ ص ١٦٩ ، الحاكم في مستدركه ج١ ص ٦٩٠ ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج١ ص ٣٧٣

الحديث (١٣٨)، ومنها ما رواه محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لي خمسة أسماء ، محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي و الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)(١٣٩).

ووجه من الآيات والأحاديث الأدلة صريحة في أن الأسماء للمسميات ، ومعنى أن الأسم للمسمى أن الأسماء مثل ؛ الرحمن ، العليم ، السميع ، وغيرها من أسماء الله ، فإذا قلت في دعائك: يا رحمن ، يا عليم ، فأنك تدعو المسمى بها وهو الله جل جلاله ، فالأسماء له تبارك وتعالى ، وإذا قلت أحمد ، أو محمد ، أو الماحي، أو الحاشر ، فأنك تقصد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها أسماء له عليه السلام.

ومن أقوال علماء السنة في إنكار القول بأن الاسم هو المسمى أو غيره ما رواه ابن عبد البر، عن الشافعي أنه قال: " إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى ، أو الاسم المسمي ؛ فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ، ولا دين له "(١٤٠).

وفي رواية أخرى عنه وعن الاصمعي، قالا: " إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة"(١٤١). وذكر إبراهيم الحربي،وأبو جعفر

138- أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب إن لله مائة اسم إلا واحدا ج٦ ص ٢٤١ ، تهذيب الكمال ج٢٤ ص ٥٧٣ ، إسعاف المبطأ برجال الموطأ للسيوطي ص ٢٥

139-أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ج٣ ص ١٢٩٩ برقم ٣٣٣٩

140- جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص ٩٤١

141- ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي ص ٧٢، الانتقاء لأبن عبد البر ج١ ص ٧٩ ، الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي لأبي الحسيني الطيوري ج١٤ ص ١١٢٧ ، مجموع الفتاوى ج٦ ص ١٨٧

الطبري وغيرهما من العلماء أن هذين القولين بدعة (١٤٢)،قال الطبري:" وأما القول في الاسم؛أهو المسمى أم غيرالمسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة،التي لا أثر فيها فيتبع،ولا قول إمام فيستمع ،فالخوض فيه شين، والصمت عنه زين " (١٤٣).وقال شيخ الاسلام:"فلم يعرف عن أحد من السلف أنه اطلق القول بأن الاسم غير المسمى ،أو هو المسمى ،إنما روي ذلك عن بعض المنتسبين إلى السنة(١٤٤)بعد الائمة وأنكر ذلك عليهم أكثر أهل السنة"(١٤٥).

قال بكر أبو زيد:" فقامت حجج الله وبيناته على ألسنة علماء أهل السنة والجامعة على منع الاطلاقين، فلا يقال: الاسم هو المسمى، ولا يقال الاسم غير المسمى"(١٤٦).

ثانيا: من التحريفات أن بعض القساوسة زعم أن البسملة فى الإسلام تساوي البسملة في النصرانية المعروفة بأسم(الأب والأبن و رالروح القدس) وهذا من المغالطات والأفتراءات النصرانية ومن العجب بعد وضوح الأدلة القرآنية الدالة

142- ينظر: صريح السنة ص ٢٦ تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل لمحمد الباقلاني ص ٢٥٨ ، مجموع الفتاوى ج٦ ص ١٧٨

143- صريح السنة ص ٢٦

144- من علماء السنة من أراد بقوله:الاسم غير المسمى الفصل اللغوي ؛أي ان الحروف ليست هي المعاني ، وهذا لا نزاع فيه بين العقلاء ، وممن قال به ابن حزم الاندلسي ، وابن حجر العسقلاني ، ينظر: مقالات الاسلاميين ص ٢٨ ، التقريب لحد المنطق لأبن حزم ص ٨٠ ، فتح الباري ج١١ ص ٢٢٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٣ ، ومن علماء السنة من أراد بقوله: الاسم هو المسمى ؛ أي أنك إذا قلت: ياالله. .. يارحمن. .. إلخ فإن المراد الله ذاته ، فلا ينفك الإسم عن المسمى ، وهذا المعنى حق ، وقد قال به بعض العلماء ، مثل أبي حسن الاشعري ، الباقلاني ، اللالكائي ، البغوي ، ينظر: مقالات الاسلاميين ص ٥٨٦ ، الانصاف ص ٩١ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج٢ ص ٢١٣ ، تفسير البغوي ج٤ ص ٤٧٥ ، ولكن الائمة المحققين أنكروا الخوض في هذه المسألة و وحكموا ببدعيتها ، لأنها من المسائل التي تحتمل الحق والباطل ، ولكثر أختلاف العقلاء من جهة الاشتراك في الاسماء ينظر: مجموع الفتاوى ج٦ ص٣٠٢ ، المنتقى من منهج الاعتدال ص ٨٣

145- مجموع فتاوى ج٦ ص ٣٠٢ بتصرف يسير ، وينظر: درء التعارض ج٥ ص ١٣٧

146- معجم المناهي اللفظية ص ٢٦ تحريف معانى الالفاظ القرآنية تأليف عميرة بنت حمد الرشيدى.

على تكفير من يعتقد بألوهية المسيح وكفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة: (أب وابن والروح القدس) نرى واحداً من هؤلاء المتطفلين وهو القمص باسيليوس يذكر شدة الشبه بين البسملة الإسلامية (بسم الله الرحمن الرحيم)،بالبسملة المسيحية: (بسم الأب الابن الروح لقدس يشاركه في هذا الرأي المسيحي: حبيب سعيد.

وهو لاشك ادعاء باطل، لأن لفظ الجلالة (الله) علم على الذات الإلهية والرحمن والرحيم صفتان له .

وقد تولى الشيخ القرافي في أجوبته الرد على هذا المدعي، وعلى أمثاله فيقول: وأما في القرآن من بسم الله الرحمن الرحيم، فتفسيركم له غلط وتحريف، كما فعلتم في الإنجيل، لأن (الله) تعالى عندنا في البسملة معناه: الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال، والرحمن والرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته. فالرحمن معناه: المحسن في الدنيا والآخرة لخلقه بفضله. والرحيم معناه: المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله. وأما النطق والحياة، فلا مدخل لهما في الرحمن الرحيم، بل هو تحريف منهم للقرآن. وإذا بطل المستند في الإنجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق. فإطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى، وليس هو عندكم، فكنتم عصاة بهذا الإطلاق.

وللأستاذ محمد مجدي مرجان رأي آخر في الرد على ادعاء القمص باسليوس، ومن هو على شاكلته حيث يقول: " نحن إذا تابعنا هذا الرأي فإنه يمكن الاستدلال من القرآن ليس فقط على التثليث، بل أيضا على التسبيع، ووجود سبعة آلهة،

وليس ثلاثة. وذلك بما ورد في أول سورة (غافر): ((حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول)) الآية٢ .

بل يمكن أن يجرفنا الزيغ والضلال فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلها، وذلك بما ورد في آخر سورة الحشر التي جاء بها سبعة عشر اسما من أسمائه الحسنى ثم إن المسلمين لا يقولون بسم الله و الرحمن و الرحيم بل يقولون بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم بعد تخرصاته هذه وهرطقاته، وادعاءه اعتناق الإسلام لعقيدة التثليث – بعد ذلك يقرر عدم فهمه وإدراكه لحقيقة الثالوث فيقول: "أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله" . وكفى دليلا على فساد هذه العقيدة وتفاهتها وبطلانها عدم فهم أصحابها ومعتنقيها لها.

ويشرع كاتب ثالوثي آخر في محاولة لإثبات الثالوث، والبرهنة عليه من القرآن، ولكنه بطريقة أخرى مغايرة لطريقة القمص باسيلوس. ذلك هو الأستاذ " يس منصور " حيث يقول: إن الإسلام يذكر حوالي تسعا وتسعين اسما لله، أي أن صفات الله الحسنى نحو تسع وتسعين صفة. وهذه الصفات متباينة ومختلفة تناقض إحداها الأخرى، بحيث لا يمكن التوفيق بينها في الذات الواحدة إلا إذا آمنت بالتثليث. فمن أسماء الله الحسنى: الضار المنتقم، ومنها العفو الرءوف، ومنها القدوس البار.

ويستطرد الكاتب متسائلا: كيف يكون الله منتقما وغافرا معا ؟فالمنتقم يدل على انتقامه من المذنب انتقاما بلا تساهل، أما الغفور فيدل على تبريره للمذنب تبريرا شاملا. ويضيف قائلا: إنه لا يمكن التوفيق بين هذه الصفات المتناقضة إلا

بالقول بالتثليث.ويعلق الأستاذ محمد مجدي مرجان علي قول يس منصور هذا بقوله – متهكماً- :

"يعني كاتبنا (الألمعي !) أن نقوم بتوزيع أسماء وصفات الله الحسنى على أفراد الثالوث الإلهي، بحيث يكون لكل أقنوم أو إله من آلهة الثالوث عدة أسماء وصفات متوافقة مع بعضها، وأن اختلفت مع أسماء وصفات الإله الآخر. فيكون الله الأب مثلا هو الضار المنتقم، ويكون الله الابن هو الرؤوف الغفور، ويكون الله الروح المقدس هو القدوس البار. وهذا هو عين مذهب الثنوية الذي كان منتشرا في بلاد الفرس القديمة إبان الوثنية، والذي كان يقسم الآلهة إلى قسمين متعارضين كل إله منها يحمل صفة مناقضة لصفة الإله الآخر. فهذا إله الخير، وذلك إله الشر. . وهذا إله الحرب، وذاك إله السلام. . وهكذا.

لقد أخفق (يس منصور) من حيث أراد النجاح، وهوى من حيث أراد الارتقاء.

ومن حيث المبدأ فالإسلام يبطل التثليث – كما قدمنا – بحجج كثيرة، ويكفر النصارى باعتقادهم إياه واعتقادهم أن المسيح هو الله، فكيف يقال: إن التثليث يمكن أخذه من القرآن، بينما معظم آيات القرآن الكريم إنما جاءت لتأصيل التوحيد في مواجهة الوثنية والثنوية والتثليث، وغيرها من العقائد الباطلة ؟ ولا أدرى كيف يدل تعدد أسماء الله الحسنى على التثليث، وهي ليست ثلاثة أسماء، بل يبلغ مجموعها عشرات الأسماء، كما هو معروف ؟. والواقع أن عقيدة الإسلام فيما يتعلق بأفعال الله: أنه سبحانه وتعالى فاعل مختار، أي أنه مريد لأفعاله، لا تصدر عنه بالإيجاب. ولهذا تعددت أفعاله تبعا لإرادته، فلم يكن ذا فعل واحد، أو ذا أفعال لها وجه واحد – كما هي العقيدة الثنوية في أنها تقصر الخير على إله، والشر على

إله آخر – فهو خالق كل شيء في هذا الوجود، وهو الفعال لما يريد، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويقبض ويبسط، ويعاقب ويغفر، ويعز. . وكل ذلك منه سبحانه وتعالى خير وحكمة. وهكذا تتعدد أفعاله، وتتعدد صفاته، وتتعدد أسماؤه. ولا محالة في أن تجمع الذات الإلهية بينهما جميعاً مهما كان بينها من تناقض، ما دام فعله سبحانه وتعالى لا يجمع بين النقيضين في موضوع واحد، تتم فيه شروط التناقض في محال في أن يغفر لهذا، ويعاقب هذا ؟ بل وأي محال في أن يعاقب إنسانا، ثم يغفر له بعد ذلك، ويدخله الجنة ؟وهكذا يمكننا أن نفهم تعدد أسماء الله الحسنى على اختلاف ما بينها وأن نفهم تعدد أفعاله على اختلاف ما بينها، ما دام الفعلان المتناقضان لا يتحدان موضوعاً، أو محمولاً، أو زماناً، أو مكاناً. . الخ أي لا يتحدان في النسبة الحكمية بين موضوع الفعل ومحمولة. فالله الفاعل المختار واحد، يفعل بإرادته كل فعل تقتضيه حكمته، وليس ذاتاً موجبةً لأفعال معينة، وكمالات الفاعل المختار على هذا النحو تبدو في تعدد أسمائه وأفعاله، وليس في هذا التعدد ما يوجب توزيعها على آلهة متعددة أو على آلهة مختلفة، لا إلهين اثنين، ولا آلهة ثلاثة،ولا أكثر من ذلك. وقيامها بالذات الواحدة أمر مفهوم على نحو ما قدمناه. وهذا هو مقتضى الكمال الإلهي ومقتضى التوحيد (١٤٧).

ثالثاً: من هذه التحريفات ما تهجم به النصراني عزمي بشارة على البسملة مشككً المسلمين في معناها زاعماً أن البسملة معنها تكلم العبد نيابة عن الله وشحن كلماته بالتهكم والانتقاص ممن يبدأ حديثه بـــ(بسم الله الرحمن الرحيم). يقول النصراني بشارة في صفحته على مواقع التواصل الإجتماعي فيس بوك

147- الشبكة العنكبوتيه موقع (www.sbeelalislam.net) .

وتويتر:(من التقاليد الإسلامية أن الكاتب أو المتكلم المؤمن يبدأ حديثه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. امّا ابتداء الحديث ب"اسم الله الرحمن الرحيم" فقد كان محصوراً في جبريل ومن يتلقى الوحي منه. فهو يتكلم باسم الله. كيف أصبح كل إنسان يتحدث باسم الله في بداية اي كلام؟ الله أعلم. يصعب الجزم متى وأين حصل ذلك.

وقد أجاب عن هذه الفرية فضيلة الدكتور/إبراهيم السكران وكشف زيفها بقوله (والحقيقة أنني لم أتصور أن يكون بشارة جاهلاً بمعاني أبجديات اللغة العربية! فضلاً عن معاني العبارات الإسلامية، والنصوص القرآنية والنبوية، والآثار الصحابية الواردة فيها، خصوصاً أنه يطرح نفسه كباحث مستوعب للتكوين الديني واللغوي للمجتمع العربي)! على أية حال فإن أساس الخلل في تصور عزمي بشارة هو ظنه أن معنى البسملة (التحدث نيابة عن الله وباسمه!) وهذا ليس المعنى أصلاً، وربما يكون تصوره أن هذا هو المعنى من كثرة ما يسمع في المحافل (أتحدث باسم فلان) أو (باسم الشعب) ونحوها من العبارات، فركّب ما يسمعه على معنى البسملة! وظن أن معناها التحدث نيابةً عن الله! ثم جاء ينتقد المسلمين لماذا يبدؤون حديثهم وكتابتهم بالبسملة! ويتساءل أسئلة عبقرية -تبارك الله- عن أول من استعمل البسملة! وبكل اختصار معنى البسملة هو التيمن بذكر اسم الله في البداء، ولذلك فالأصح فيها تقدير فعل مناسب لكل حالة كما سيأتي توضيحه. وأئمة اللغة تحدثوا عن معنى البسملة مبكراً، بل لقد أُلّف في إعراب ومعنى البسملة رسائل كثيرةوظني أن د.بشارة لا يعرف مفهوم (التقدير النحوي) فالعرب تحذف ألفاظاً في كلامها لموجبات متنوعة، وتصبح مقدرة تدل عليها قرائن السياق، ولذلك

لم يتصور لهذا التركيب معنى إلا ما سمعه من استخدام في المحافل الرسمية والخطابات البروتوكولية، كعبارة (باسم الشعب) مثلاً.

وهذه العبارة معروفة في كلام العرب، وقد نقلها رأس النحاة في زمنه سيبويه (ت ١٨٠هـ) حيث يقول سيبويه :(ومثل ذلك: "أول ما أقول أن بسم الله"، كأنه قال: أول ما أقول أنّه بسم الله...، وأما قوله: أن بسم الله، فإنما يكون على الإضمار، لأنك لم تذكر مبتدأ أو مبنياً عليه) (١٤٨) وكتاب سيبويه ديوان النحو العربي، فقد نقل فيه خلاصة علم مشايخه كالخليل والأخفش الكبير وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب ونحوهم، وهو "إمام النحو وحجة العرب".

وقد اختلف نحاة البصرة والكوفة في تقدير المحذوف هاهنا، وهو الذي يتبين به المعنى، وقد لخّص ابن هشام اختلافهم حيث يقول:

(جملة البسملة: فإن قدرة ابتدائي باسم الله فاسمية، وهو قول البصريين، أو أبدأ باسم الله ففعلية، وهو قول الكوفيين، وهو المشهور في التفاسير والأعاريب، ولم يذكر الزمخشري غيره، إلا أنه يقدر الفعل مؤخراً ومناسباً لما جعلت البسملة مبتدأ له، فيقدر باسم الله أقرأ، باسم الله أحل، باسم الله أرتحل، ويؤيده الحديث "باسمك ربي وضعت جنبي")(١٤٩). والمراد أن قول (بسم الله) معناها أبتدئ بذكر اسم الله على سبيل التيمن والاستعانة سواءً كان في كتابة أو قراءة أو طعام أو غيره. وقد ألّف علماء الإسلام في معاني (البسملة) مؤلفات خاصة، منها: شرح البسملة لابن أم قاسم المرادي، وشرح البسملة والحمدلة لزكريا الأنصاري، والحلية في البسملة لابن عبد النور، وشرح البسملة للمدني، وعلى بعض هذه الكتب شروح

148 – سيبويه، الكتاب: ١٦٥/٣
149 – ابن هشام، مغني اللبيب، ص٤٩٥

وحواش. حسناً. . دعنا نفترض أن معنى (البسملة) هو ما ذكره النصراني عزمي بشارة، وهو (التحدث نيابة عن أحدٍ ما)، فتعال نختبر هذا التفسير على النصوص العربية يقول الله {وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا}{هود:٤١} فنبي الله نوح يأمرهم أن يقولوا (باسم الله) حال رُكوبهم، كما يلخص العلامة محمد الطاهر بن عاشور ذلك فيقول:(والباء في بسم الله للملابسة، مثل ما تقدم في تفسير البسملة، وهي في موضع الحال من ضمير اركبوا، أي ملابسين لاسم الله، وهي ملابسة القول لقائله، أي قائلين: باسم الله)(١٥٠).

فلو طبقنا ما يقوله النصراني بشارة في معنى البسملة لكان معنى (بسم الله) التي قالوها: أي إننا نركب نيابة عن الله! فهل يستقيم المعنى؟! خذ مثالاً تطبيقياً آخر نختبر فيه نظرية النصراني بشارة في تفسير البسملة: يقول الله تعالى في التسمية على الذبائح {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}{الأنعام:١١٨}، ويقول {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا}{الحج:٣٦}. ويقول الله في التسمية على الصيد {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عليه}{المائدة:٤}.

فالآيات أمرت بالتسمية، والتسمية كما جاء في السنة {وأتي بكبش فذبحه رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بيده، وقال:بسم الله، والله أكبر}(١٥١). حسناً. . فهل المسلم إذا نحر ذبيحته وقال (باسم الله) يكون المراد أنه يذبح نيابةً عن الله، كما يقترح النصراني بشارة في معنى التسمية؟!

150 – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص٧٣/١٢
151 – ابوداود:٢٨١٠

والبسملة موجودة في مفتتح كل سورة إلا التوبة بإجماع المسلمين، يقرؤها المسلمون منذ قرؤوا القرآن، فهل المسلمون حين يستفتحون السورة بقولهم (بسم الله) يقصدون أنهم يتحدثون نيابة عن الله؟! يالذكاء النصارى!

وأما في السنة النبوية فقد وجّهنا النبي – صلى الله عليه وسلم- في أحاديث صحاح كثيرة للبسملة، منها في ذكر الإخلاد إلى الفراش،ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إذا أوى أحدكم إلى فراشه. .ثم ليقل:"باسمك ربي وضعت جنبي..")[١٥٢]. فلو كان معنى (باسم) النيابة، لكان المعنى (نيابة عنك يا أله أموت وأحيا!) فهل هذا هو هو المعنى معاذ الله الذي لا يموت سبحانه{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} {الفرقان:٥٨}.وجاء هذا المعنى في أذكار أخرى في الصحيح وليس هذا مجال استيعابها، والمراد التمثيل. وأما استعمال الصحابة للبسملة بشكل مبكر ففي البخاري عن أنس (أن أبا بكر رضي الله عنه، كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين: "بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم..)(١٥٣). بل حتى العرب الجاهليين يعرفون التسمية، ومن ذلك أن سهيل بن عمرو لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكاتبه في قصة الحديبيبة اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) قال سهيل بن عمرو (أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب "باسمك اللهم")(١٥٤). فهذا سهيل بن عمرو يعرف التسمية ويستعملها في المكاتبة،بمعنى البداء بذكر اسم الله، وهذا النصراني يظن معناها(أتحدث نيابةً عن الله)!على أية حال نصوص النحاة في إعراب البسملة كثيرة

152 – صحيح البخاري: رقم ١٤٥٤.
153 – البخاري:١٤٥٤
154 – البخاري:٢٧٣١

جداً، ونصوص المفسرين في تفسير معنى البسملة كثيرة وميسورة لأنك لا تكاد تجد مفسراً إلا وقد فسر معنى البسملة في مفتتح تفسيره،وهكذا في شروح الحديث، بل في شروح المتون أيضاً- في شتى الفنون، لأن أهل العلم يبدؤون كتبهم بذكر البسملة، فيأتي الشارح ويشرحها ويذكر ما قيل في إعرابها، واشتقاق الاسم، وحذف الألف، ونحوها من مسائلها. والحقيقة أن هذا التهجم القبيح من هذا النصراني على واحدة من شعائر المسلمين وهي (البسملة)،ليست شأناً جديداً، بل لا تخلو كتب النصراني بشارة من طعون ماكرة في دين الإسلام.

رابعاً:من التحريفات ما ذكره أبو عبد الرحمن في تفسيريه من أقوال في معنى {بسم الله}بعيدة عن الحق وهي تحريف لمعنى البسملة.

ومن أمثلة تحريفاته في معنى البسملة: قوله " الباء لأرواح الأنبياء، والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القربة والأنس "(١٥٥) ومنها قوله " والميم منته على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة " وقوله: ". .. الباء سر العارفين ، والسين السلام عليهم ، والميم محبته لهم "(١٥٦).

وهو ينسب هذه الاقوال لبعض شيوخ الصوفيه أمثال الجنيد، أو لغيرهم من الصالحين ، أمثال جعفر الصادق رحمه الله، أو حتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن صح هذا (الباء بهاؤه، والسين سناؤه ، والميم مجده)(١٥٧).

155 – تفسير السلمي ج١ ص ٢٤
156 – المرجع السابق ج١ ص ٢٤ ، ٢٥
157 – تفسير السلمي ج١ ص ٢٥ ، قال ابن الجوزي في الموضوعات: " هذا الحديث موضوع لا محال وقال أيضا: "ما يصنع مثل هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الاسلام ، أو جاهل في غاية الجهل وقلة اللامبالاة بالدين ، ولا يجوز أن يفرق حروف الكلمة المجتمعة فيقال: الالف من كذا، واللام من كذا ، وإنما

وبمثل هذه التحريفات يتناول معنى لفظ الجلالة (الله) بتحريفات كثيرة منها: " إن الالف الاول من اسم الله ابتداؤه ، واللام الاول لام المعرفة ، واللام الثاني لام الآلاء والنعماء ، والسطر الذي بين اللامين معاني

مخاطبات الامر والنهي ، والهاء نهاية ما تكن العبادة عنه من الحقيقة لا غير"(١٥٨) ، واستغرقت منه أمثال هذه التحريفات أربع صفحات تقريبا.

سبب التحريف:

إن السبب في هذا التحريف هو نفس سبب تأليف الكتاب وهو خدمة المعتقد الصوفي، وكل هذه الاشارات التي تملأ تفسير السلمي هو سبب انتمائه للصوفيه ، بل إن تفسيره إنما هو تفسير بهذه الاشارات فقط ، فكل ما يمر بنا منها يرجع لهذا السبب.

الرد على التحريف:

هذه المعاني التي يذكرها بعض الصوفيه ويدَّعون أنها معاني خفية للآيات لا تستند إلى دليل ، بل هي صرف للآيات عن المعنى المراد منها إلى معنى لا يعرف من قرآن ، أو سنة ، أو أي قرينة من اللغة ، أو أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأمثاله من كلام الصوفية لا يدل عليها السياق ، ولم ينقل لنا عن سلفنا الصالح من الصحابة ، والتابعين تفسير للقرآن يماثل مع هذا التفسير أو حتى يقاربه ، وهم ادرى بمعاني القرآن ، فلا يعقل أن

هذا يكون في الحروف المقطعة " ، ينظر: الموضوعات لابن الجوزي ج١ ص ١٤٦، وقد شك السلمي في صحته بقوله: " إن صح " ، وقد ذكر القرطبي في الاثر عن كعب الاحبار في تفسيره ج١ ص١٠٧

158 – تفسير السلمي ج١ ص ٢٩

يقال إن الصوفية علموا من القرآن ما لم يتوصل إليه صحابي أو تابعي ؛ فأنَّ لنا بأفضل من هديهم رضوان الله عليهم. فعلينا الاتباع وترك الابتداع.

وقد ذكر العلماء أن من يعتقد أن هذه الإشارات تفسير لكتاب الله عز وجل فقد كفر ، وفي تعليق التفتازاني على قول النسفي في العقائد: " والنصوص على ظواهرها ، فالعدول عنها معان يدعيها أهل الباطل إلحاد " ، وقال في شرحه للعقائد: " وسُموا بالباطنية بأنهم أدعوا أن النصوص ليست على ظواهرها ، بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلّم ، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية "(١٥٩).

و قال الواحدي:" من اعتقد أن هذا هو التفسير فقد كفر " (١٦٠).

والظن بأبي عبد الرحمن أنه لا يورد هذه الأقوال على انها تفسير للقرآن ،بدليل انه يوجد في مقدمة تفسيرة نص يفيد أن سبب كتابته للتفسير ؛ جمع ما قيل في المعاني الإشارية دون أن يجحد المعاني الظاهرة ، بل أعرض عنها ذكرها بأنه سبقه الكثير إليها.

خامساً من هذه التحريفات التحريف في صفة الرحمة:

قال محمد المايتريدي:" ثم الوصف لله عز وجل بالاسمين، يتعالى عن أن يكون لأحدهما معناًحقيقياً"(١٦١).

159 – شرح العقائد لسعد الدين التفتازاني ص ١٤٢

160 – فتاوى ابن الصلاح ١٩٧/١ ، سير اعلام النبلاء ٢٥٥/١٧، كتاب تحريف معانى الفاظ القران ص ٣٤٧-٣٤٩.

161 – تفسير الماتريدي ج١ ص١١

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : " وقيل في اسمه الرحمن: حلاوة المنة ومشاهدة القربة ومحافظة الخدمة " (١٦٢)، وذكر إشارات كثيرة في معنى الرحمن على الطريقة الصوفية.

وفي وصفه للرحمة يقول الزمخشري:"..فإن قلت: ما معنى وصف الله بالرحمة ،ومعناها العطف والحنو، ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها؟ قلت:هو مجاز عن إنعامه على عباده. .."(١٦٣).والرازي يعبرعنها في أكثر من موضع بالفضل والإحسان من الله عز وجل (١٦٤)وصرح عن معناها في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى:{إن رحمت الله قريب من المحسنين } {الأعراف: ٥٦} بقوله:"اختلفوا في أن الرحمة عبارة عن إيصال الخير والنعمة ، أو إرادة إيصال الخير والنعمة ، فعلى التقدير الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال ، وعلى التقدير الثاني تكون من صفات الذات وقد استقصينا هذه المسألة في تفسير {بسم الله الرحمن الرحيم} {الفاتحة: ١ والنمل: ٣٠}"(١٦٥).

وقال محمد رشيد رضا: " قال الأستاذ الإمام ما معناه: والرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة ، وهي معنى يلم بالقلب ، فيبعث صاحبه ويحمله على الإحسان إلى غيره ، وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر ، لأنه في البشر ، ألم في النفس شفاؤه الإحسان ، والله تعالى منزه عن الآلام والانفعالات ، فالمعنى والمقصود بالنسبة إليه من الرحمة أثرها وهو الإحسان "(١٦٦).

162 – تفسير السلمي ج١ ص ٣٢ ، قد لا يقصد السلمي بأشاراته تعطيل صفة الرحمة
163 – تفسير الكشاف ج١ ص ٤٥ ، ٤٦
164 – تفسير الرازي ج١ ص ١٨٧ ، ١٩٤
165 – المرجع السابق ج١٤ ص ١١٠
166 – تفسير المنار ج١ ص ٤٦

وهذا التأويل يوافق ما نص عليه محمد الطبطبائي بقوله: " هي وصف انفعالي وتأثر خاص يلم بالقلب عند مشاهدة من يفقد ، أو يحتاج إلى ما يتم به أمر، فيبعث الإنسان إلى تتميم ورفع حاجته ، إلا أن هذا المعنى يرجع بحسب التحليل إلى الإعطاء ، والإفاضة لرفع الحاجة وبهذا المعنى يتصف سبحانه بالرحمن "(١٦٧)، فالطبطبائي شبه رحمة الله برحمة المخلوقين ، ومن هنا تأولها بالإعطاء ، ورفع الحاجة ، وهذا تعطيل لها.

سبب تحريف صفة الرحمة

صفة الرحمة هي كغيرها من الصفات التي وقع عليها التحريف من الفرق المختلفة أمثال الجهمية ، والمعتزلة ، وبعض الاشاعرة ، والمايتردية، والرافضة (١٦٨)، ومن نحا نحوهم ، ويعللون لهذا التحريف بشبهات ومحاذير ما أنزل الله بها من سلطان ، ومنها:

أن صفة الرحمة ضعف ورقة نتيجة انفعال نفسي لا يليق وصف الله به ووصفه بها تشبيه لله بخلقه ، وعليه فالوصف بالرحمة مجاز(١٦٩) لا حقيقة له، وأوالوها بالنعمة أو الإدارة (١٧٠).

167 – الميزان للطباطبائي ج١ ص١٨

168 – تأثرت الرافضة كثيرا بآراء المعتزلة ، فهذه الاخيرة من أشهر الفرق شقاقاً وجدلاً ، فتأثرت بها كثير من الفرق وتبنوا أفكارها

169 – المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له في الاصل ، وقد أنكر القول به شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم ، وسماه في الصواعق طاغوتا ينظر: الصواعق المرسلة ج٢ ص ٦٣٣ ، ٦٨٣

170 – المعتزلة تتأول الرحمة بالنعمة والأشاعرة تتأولها بإرادة النعمة ، ينظر: المسائل الاعتزالية ج١ ص ١٤٢

رد التحريف:

(الرحمن الرحيم) اسمان من أسماء الله يدلان على الذات ، وعلى صفة الرحمة وعلى الأثر: أي الحكم تقتضيه هذه الصفة ومنها النعم.

والرحمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه رحمة حقيقة ، دل عليها الكتاب، والسنة، والإجماع ، والعقل: فأما الكتاب ، فجاء فيه إثبات الرحمة بآيات عديدة لا تنحصر ولا تكاد تخلو صفحة من آية تثبت صفة الرحمة لله تعالى بشتى الوجوه ؛

١- تارة بالاسم: {وهو الغفور الرحيم} {يونس:١٠٧}

٢- وتارة بالصفة كقوله: { وربك الغفور ذو الرحمة} {الكهف:٥٨}

٣- وتارة بالفعل ، كقوله: {يعذب من يشاء ويرحم من يشاء } {العنكبوت: ٢١}

٤- وتارة باسم التفضيل ، كقوله: {وهو أرحم الراحمين} {يوسف: ٩٢}(١٧١)

وبمثل هذه الوجوه جاءت السنة في أحاديث ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، منها أحاديث عظيمة في الحث على التراحم مثل: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (١٧٢)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)(١٧٣)، وحديث المرأة التي كانت في السبي ، وقال فيها رسول اللهp:(..لله

171 - إيثار الحق على الخلق ص ١٢٥

172 - أخرجه البخاري في صحيحة ، كتاب التوحيد ، باب قوله تبارك وتعالى: { قل ادعوا الله أو أدعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى و لا تجهر بصلاتك وتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا } الاول برقم ٦٩٤١ ، والثاني برقم ٦٩٤٢ ، ج٢ ص ٢٦٨٢ ، وكأن الترجمة بهذه الآية وإيراد هذه الاحاديث لإثبات الصفة لله جل جلاله

173 - انظر: تخريج الحديث السابق

ارحم بعباده من هذه بولدها)(١٧٤)، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الإنس والجن والهوام فبها يتعاطفون،و بها تعطف الوحوش على أولادها،وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة يرحم بها عباده) (١٧٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: (جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا ،فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ،حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)(١٧٦).

والأحاديث في الصحاح في هذا المعنى كثيرة لا يمكن حصرها.

والديانة بهذه الصفة محل إجماع من عباد الله ، أصحاب الفطر السليمة ، فملائكته تدعوه مدحا بصفة الرحمة بأبلغ صيغ المبالغة: { ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم } {غافر:٧} ، والأنبياء والصالحون يتضرعون لله برحمته منذ بدأ الخلق ، فأبويا آدم ، و زوجه حواء عليهما السلام حين قالا: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} {الاعراف:٢٣} ، وأدعية الانبياء والصالحين من بعدهما مليئة بالتضرع لله بأوسع صفاته (١٧٧)الرحمة ، وقد قص علينا كثيرا منها.

174 – أخرجه البخاري في صحيحة ، كتاب الآداب ، باب رحمة الولد وتقبله ومعانقته ج٥ ص ٢٢٣٥ برقم ٥٦٥٣

175 – أخرجه مسلم في صحيحة ، كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ، ج٤ ص ٢١٠٨ ، ٢١٠٧ ، برقم ٢٧٥١ ، ٢٧٥٢

176 – انظر: تخريج الحديث السابق

177 – صفة الرحمة من أوسع صفات الله عز وجل،فتشمل القدرة ،والعلم ،والادارة، والعلو ، وقد فصل ابن القيم الكلام في هذا كتابه الصواعق ج١ ص ٢٢

بل إن المشركين في محنتهم يعترفون بأن لهم رباً رحيماً فيطلبون منه النجاة. وقد مضى أمر السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنه والتابعين رحمهم الله بالايمان بهذه الصفة وغيرها من صفات الله تعالى،والوقوف مع ظاهر النصوص دون تأويل لا دليل عليه ، وقاعدتهم في ذلك: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل (١٧٨)،ولا كيف(١٧٩)،ولا تحريف(١٨٠)،ولا تعطيل(١٨١). على حد قوله: { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } {الشورى:١١}(١٨٢)،فنخلص من ذالك إلى أن: " صفة الرحمة صفة مدح وكمال،وصف الله بها نفسه،فينبغي أن تؤخذ على ظاهرها الذي خاطبنا الله به،ونعلم أن حقيقتها ثابتة لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ،وأنه لا يلزم من اتصافه بها أي نقص أو تشبيه"(١٨٣).

ومعنى إمرارها كما جاءت أي: دون بحث في كيفيتها (١٨٤)، لأن المعنى معلوم ، فنحن نعلم ما الذي تعنيه صفة الرحمة و السمع ، والبصر ، وغيرها ، لكن

178 – التمثيل في اللغة التشبيه ، والتمثيل هو اعتقاد أن صفات الله تشبه صفات المخلوقين ، فلا يقال: ذات الله مثل ذواتنا ، ولا صفاته مثل صفاتنا. ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ج١ ص ١٧٩

179 – التكييف: معناه بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات ، فلا يقال ، كيف استوى ؟ ولا كيف سمعه أو يده ؟

180 – التحريف في الاسماء والصفات ، التغيير في معناها كقولهم: استوى بمعنى استولى ، وكتحريفهم هنا لصفة الرحمة وتغيير معناها إلى النعمة

181 – التعطيل معناه: سلب الصفات عن معناها ونفيها عن الله تعالى ،كقولهم: إنها على المجاز ، أي: لا حقيقة لها ، فتكون معطلة أي: خالية من المعاني كقوله تعالى: { وبئر معطلة وقصر مشيد }(الحج:٤٥)،أي متروكة ،ينظر: تفسير الجلالين ج١ ص ٤٤٠

182 – التعريفات السابقة في لسان العرب ح١١ ص ٤٥٣،التنبيهات اللطيفة للسعدي ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ شرح العقيدة الواسطية ،للهراس ،ص ٣٤ ،٣٥ ،المسائل الاعتزالية ج١ ص ١٤٣

183 – المسائل الاعتزالية ج١ ص ١٤٥

184 – هنا ملحظ دقيق ، وهو أن اللفظ في القرآن على لغة العرب ، وتمثل مصدرا رئيسا في فهمه ، لكن حقيقتها وكيفيتها ليست في لغة العربي ، ولا في فهم أحد ، فهو من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يطلب تأويله إلا من كان في قلبه زيغ ، ومن هنا وقع وقع أهل التحريف

الكيفية مجهولة ، والبحث فيها بدعة كما أجاب الإمام مالك رحمه الله للذي سأله عن كيفية الاستواء (١٨٥).

ولكن كيفيتها لا شك لائقة بجلاله ، فالكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فكما لا علم عن كنه ذاته ، فكذلك لا نعلم عن كنه صفاته.

وأسماء الله وصفاته توقيفية ، يرجع فيها إلى الوحي، فلا مجال فيها للعقل ، ولا الاجتهاد ، ولا القياس ، وحقيقة أمرها وكيفيتها غيب لا علم لنا به ، والصحابة رضي الله عنهم فهموا هذا فلم ينقل عنهم خلاف في مسائل الأسماء والصفات ، قال ابن القيم رحمه الله: " وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ؛ بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يسموها تأويلا ، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً ، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً ، وضربوا لها أمثالاً ، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها ، إلى مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم. .." (١٨٦).

185 – شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ٣ / ٣٩٨، والاعتقاد للبيهقي ص ١١٦، وشرح السنة للبغوي ١ / ١٧١، إثبات صفة العلو لابن قدامة ص ١١٩.
186 – إعلام الموقعين ج١ ص ٤٩

رد شبههم:

١- فأما قولهم إن صفة الرحمة رقة تعترى المخلوق لا تليق بالخالق ، فيجاب عنه بأن صفات الله تعالى لا يضرب لها المثل من المخلوقين ، والله تعالى يدفع عن نفسه الشبه بقوله:{ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير } {الشورى:١١}.

٢- دعوى المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته دعوى باطلة،لأن التأكيد والتكرار يدفع احتمال المجاز عند علماء البلاغة ، فكيف بصفة الرحمة التي وردت في القرآن أكثر من خمسائة مرة بأسلوب التأكيد والتكرار(١٨٧) ، وأهل السنة مجمعون على الاقرار بصفات الله على حقيقتها لا على المجاز(١٨٨).

٣- ما ذكروه من تأويل للرحمة بالنعمة ، وهو أثر من آثار صفة الرحمة ، وليس هو الصفة ذاتها.

قال الشنقيطي: في (الرحمن الرحيم): " هما وصفان لله تعالى ، وأسماءان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا ، وللمؤمنين في الآخرة ، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة ، وعلى هذا أكثر العلماء ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا "(١٨٩).

187 - إيثار الحق على الخلق ، ص ١١٥ ، والصواعق ج٤ ص ١٥١٠
188 - المرجع السابق ج٤ ص ١٢٨٩
189 - أضواء البيان ج١ ص ٢٠، تحريف معانى الألفاظ القرآنية ص ٣٤٧-٣٥٥

المطلب الخامس

مذاهب القراء فى البسملة

أجمع القراء العشرة على الإتيان بالبسملة عند الابتداء بأول كل سورة سواء أكان الابتداء من قطع أم عن وقف ، والمراد بالقطع ترك القراءة رأسا و الانتقال منها لأمر آخر ، و المراد بالوقف قطع الصوت على آخر السورة السابقة مع التنفس و مع نية استئناف القراءة لأنه بوقفه على أخر السورة السابقة و قطع صوته على آخر كلمة فيها مع التنفس يعتبر مبتدئاً للسورة اللاحقة و إن كان مريداً استئناف القراءة فلا بد حينئذ من البسملة لجميع القراء ، و هذا الحكم عام في كل سورة من سور القرآن إلا سورة براءة فلا خلاف بينهم في ترك البسملة عند الابتداء بها. و اختلفوا في حكم الإتيان بها في أواسطها، فذهب الرملي و مشايعوه أنها تكره في أولها و تسن في أثنائها و أيده في ذلك السخاوي (حيث قال): ألا ترى أنه يجوز بغير خلاف أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)) وفي نظائرها من الآي، و منعها أبو إسحاق الجعبري، فقال رادا على السخاوي: إن كان نقلا فمسلم، وإلا فرد عليه أنه تفريع على غير أصل وتصادم لتعليله. قلت: وكلاهما يحتمل، والصواب أن يقال: إن من ذهب إلى ترك البسملة في أوساط غير براءة لا إشكال في تركها عنده في وسط براءة، وكذا لا إشكال في تركها فيها عند من ذهب إلى التفضيل، إذ البسملة عندهم في وسط السورة تبعا لأولها، ولا تجوز البسملة أولها فكذلك وسطها، وأما من ذهب إلى البسملة في الأجزاء مطلقا، فإن اعتبر بقاء أثر العلة التي من أجلها حذفت البسملة من أولها وهي نزولها بالسيف كالشاطبي ومن سلك مسلكه لم يبسمل، وإن لم يعتبر بقاء أثرها، أو لم يرها علة بسمل بلا نظر، كما تسن في أثناء غيرها.

و أما الابتداء بأواسط السور فيجوز لكل منهم الإتيان بالبسملة و تركها، لا فرق في ذلك بين براءة و غيرها و استثنى بعضهم وسط براءة فألحقه بأولها في عدم جواز الإتيان بالبسملة لأحد من القراء ، و ذهب بعضهم إلى أن البسملة لا تجوز في أوساط السور إلا لمن مذهبه الفصل بها بين السورتين ، و أما من مذهبه السكت أو الوصل بين السورتين فلا يجوز له الإتيان بالبسملة في أواسط السور، و على هذا المذهب تكون أوساط السور تابعة لأولها. فمن بسمل أولها بسمل في أثنائها ،و من تركها في أولها تركها في أوساطها ، و المراد بأوساط السور ما بعد أوائلها و لو بأية أو كلمة.

و أما حكم ما بين كل سورتين فاختلف القراء العشرة فيه ، فذهب قالون و ابن كثير و عاصم و الكسائي و أبو جعفر إلى الفصل بالبسملة بين كل سورتين ، و ذهب حمزة و خلف إلى وصل اخر السورة بما بعدها من غير بسملة ، و روى عن كل من ورش و أبي عمرو و ابن عامر و يعقوب ثلاثة أوجه: البسملة ، و السكت ، و الوصل: و المراد بالسكت الوقف على أخر السابقة وقفة لطيفة من غير تنفس قدر سكت حمزة على الهمزة. و المراد بالوصل وصل آخر السورة بأول تاليتها ، و لا بسملة مع السكت و لا مع الوصل ، و هذا الحكم عام بين كل سورتين سواء أكانتا مرتبتين كآخر البقرة و أول آل عمران ، أم غير مرتبتين كآخر الأعراف مع أول يوسف لكن يشترط أن تكون الثانية بعد الأولى في ترتيب القرآن و التلاوة كما مثلنا ، فإن كانت قبلها فيما ذكر كأن وصل آخر الرعد بأول يونس تعين الإتيان بالبسملة لجميع القراء و لا يجوز السكت و لا الوصل لأحد منهم. كذلك لو وصل آخر السورة بأولها كأن كرر سورة من السور فإن البسملة تكون متعينة حينئذ للجميع ، كذلك تتعين البسملة للكل لو وصل آخر الناس بأول الفاتحة.

هذا و بعض أهل الاداء يختار الفصل بالبسملة بين المدثر و القيامة و بين الإنفطار و المطففين و بين الفجر و البلد ، و بين العصر و الهمزة لمن روى عنه السكت في غيره. و هم ورش و البصريان و الشامي. و أختار السكت بينما ذكر لمن روى عنه الوصل في غيرها و هم المذكرون و خلف و حمزة. و ذهبت طائفة إلى إبقاء الساكت على أصله و اختيار السكت فيهن للواصل في غيرهن و عدم جواز وصل البسملة بأول السورة بالنسبة للمبسمل.

و الذي ذهب إليه المحققون من العلماء عدم التفرقة بين هذه السور و بين غيرها و هو الصحيح المختار الذي عليه العمل.

وعلى التفرقة يكون لهذه السور مع غيرها حالتان: الأولى لو قراءة من أخر المزمل إلى أول القيامة فالمبسمل بين كل سورتين على حاله. لأوجه البسملة الثلاثة ، و الساكت بين المزمل و المدثر له بين المدثر و القيامة السكت و البسملة بأوجهها الثلاثة ، و الواصل بين المزمل و المدثر له بين المدثر و القيامة الوصل و السكت فتكون الأوجه تسعة. الحالة الثانية لو قراءة من أخر المدثر لأول الإنسان فالمبسمل بين المدثر و القيامة له بين القيامة و الإنسان بسملة في أوجهها الثلاثة، و في الإختيار يزيد السكت بلا بسملة على كل وجه منها القيامة و الإنسان ، و الساكت بين المدثر و القيامة له بين القيامة و الإنسان السكت والوصل ، والواصل بين المدثر والقيامة له بين القيامة و الإنسان الوصل فقط فتكون الأوجه تسعة أيضاً.

(فائدة)

يجوز لكل من فصل بين السورتين بالبسملة ثلاثة أوجه

الأول: الوقف على أخر السورة و على البسملة.

الثاني: الوقف على أخر السورة و وصل البسملة بأول التالية.

الثالث: وصل أخر السورة بالبسملة مع وصل البسملة بأول التالية. أما الوجه الرابع و هو وصل أخر السورة مع الوقف عليها فهو ممتنع للجميع. و على هذا يكون لقالون و من معه هذه الأوجه الثلاثة بين كل سورتين و يكون لورش و البصريين و الشامي بين كل سورتين خمسة أوجه: ثلاثة البسملة و السكت و الوصل ، أما خلف و حمزة فليس لهما بين السورتين إلا وجه واحد و هو الوصل.

(تتمة)

لكل من القراء العشرة حتى حمزة و خلف بين الأنفال و التوبة ثلاثة أوجه:

الأول الوقف و قد يعبر عنه بالقطع ، و هو الوقف على آخر الأنفال مع التنفس. و الثاني السكت و هو الوقف على آخر الأنفال من غير تنفس. و الثالث وصل آخر الأنفال بأول التوبة ، وكلها من غير بسملة، وهذه الأوجه الثلاثة جائزة بين التوبة وبين أي سورة بشرط أن تكون هذه السورة قبل التوبة في التلاوة فلو وصلت آخر سورة النور بأول التوبة فلم أجد من أئمة القراءة من نص على الحكم في هذا. ويظهر لي والله أعلم أنه يتعين الوقف حينئذ ويمتنع السكت والوصل والله تعالى أعلم. كذلك يتعين الوقف ويمتنع السكت والوصل إذا وصلت لآخر التوبة بأولها.(١٩٠).

190 – أنتهى ملخصاًالنشر فى القراءات العشر ١/٦٠-٧٠،و البدور الزاهرة ص١٣-١٥، تأليف عبد الفتاح القاضى و جمال القراء و غاية الإقراء للسخاوي ١/٣٥.

المبحث الرابع

اختلاف العلماء في قرآنية البسملة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

تحرير محل النزاع فى المسألة:

هذة المسألة من المسائل المهمة فى هذا الباب، لما يترتب عليها من صحة الصلاة من عدمها، وفى بيان هذه الأ همية يقول النووى " اعلم أن مسألة البسملة عظيمة مهمة ينبنى عليها صحة الصلاة التى هى اعظم الأركان بعد التوحيد "(١٩١).

اتفق العلماء على أن الفاتحة سبع أيات ثم اختلفوا فى البسملة فى كونها آية من الفاتحة أم ليست آية فمن ذهب إلى أنها آية جعل قوله تعالى " صراط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم ولا الضالين " الأية السابعة.

ومن ذهب إلى أنها ليست آية جعل قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " الآية السابعة (١٩٢).

وتجدر الإشارة إلى أن العلماء اتفقو أيضا على أن البسملة جزء من قوله تعالى فى سورة النمل " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم" { النمل: ٣٠}، واتفقوا على سقوطها من أول سورة التوبة. (١٩٣).

191-المجموع ٣/٣٣٤.

192- شرح ناظمة الزهر.

193- أحكام القرآن للجصاص ٨/١، البحر الرائق ٣١٣/١، البيان والتحصيل ٣٦٥/١، إكمال المعلم ١٥٤، المجموع ٣٣٣/٣-٣٣٥، مجموع الفتاوى ٤٣٨/٢٢، المبدع ٤٣٥/١.

وقد حكى هذا الإجماع الجصاص بقوله" لاخلاف بين المسلمين أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن فى قوله تعالى: { إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم }" {النمل: ٣٠}(١٩٤).

قال ابن العربي: "اتفق الناس على أنها آية من كتاب الله تعالى في سورة النمل،واختلفوا في كونها في أول كل سورة" (١٩٥).

وقال الآمدي: " الاختلاف فيما نحن فيه، لم يقع في إثبات كون التسمية من القرآن الكريم، في الجملة. ..وإنَّمَا وقع في وضعها آية، في أوائل السور". (١٩٦).

وقال المرداوي: "والبسملة بعض آية في سورة النمل إجماعًا، فهي قرآن قطعًا، وليست في أول براءة إجماعًا. ..وأمَّا حكم البسملة في غير ذلك ؛ فالصحيح الذي عليه أكثر العلماء. ..أنها قرآن"(١٩٧).

" قلت: مع اتفاقهم على سقوطها من أول براءة إلا أنهم اختلفوا فى سبب ذلك على أقوال:

القول الأول:

أنه قيل كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية ، إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة ، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين، بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فقرأها

194-أحكام القرآن للجصاص ٨٠/١.
195 - أحكام القرآن ٢/١
196 - الإحكام ١٦٤
197 - التحبير شرح التحرير ١٣٦٨/٣-١٣٧١.

عليهم في الموسم(١٩٨). ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة ولا يخفى ضعف هذا ؛ لأن القرآن يؤخذ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا عن الصحابة رضوان الله عليهم، فلو أقرأ النبي - ρ - علياً بالبسملة فإنه سيقرؤها ولا شك . والقول الثانى: لم تكتب البسملة لأن الانفال و براءة قصتهما واحدة ودليله ماأخرجه النسائى و الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قلت لعثمان: ما حملكم إلى أن عمدتم إلى " الأنفال" وهي من المثاني ، إلى " براءة " وهي من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا سطر: بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها في السبع الطوال ، فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : " ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ". وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل ، " وبراءة " من آخر القرآن ، وكانت قصتها شبيه بقصتها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، فظننا أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم (١٩٩). قلت وهذا القول رجحه ابن العربي في أحكام القرآن. وهو نص في الموضوع، وقد صححه ابن حبان والحاكم(٢٠٠)، ولكن الصواب أنه ضعيف كما قال الشيخ أحمد شاكر والألباني وشعيب الأرناؤط وغيرهم (٢٠١).

198- خبر إرسال علي بسورة براءة في الموسم عند أحمد (٧٩٧٧) ، والبخاري (٤٦٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وعند أحمد (٥٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.

199 - رواه أحمد (٥٧/١ و٦٩)، وأبو داود(٧٨٦و٧٨٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، والنسائي في الكبرى (٨٠٠٧)، والبزار (٣٤٤)، وابن أبي داود في المصاحف (ص ٣٩)، والبيهقي(٤٢/٢)

200 - ابن حبان(٤٣)، والحاكم(٢٢١/٢و٣٣٠)

201 - تحقيق المسند(٤٦٠/١-٤٦٢)

والسبب في التضعيف: انفراد عوف بن أبي جميلة بروايته عن يزيد الفارسي، ويزيد هذا مختلف في تحديده هل هو ابن هرمز أم غيره، واشتبه تحديده على مثل: عبد الرحمن بن مهدي وأحمد والبخاري، فهو في عداد المجهولين، وذكره

البخاري في الضعفاء(٢٠٢)،وعده ابن حجر في (تقريب التهذيب) مقبولاً. وتفرد الراوي عن شيخه وهو خفيف الضبط يعتبر علة توجب رد الرواية عند أئمة علماء علل الحديث المتقدمين، فالحديث معلول، وأين أصحاب ابن عباس عنه؟. و أيضاً فيه تشكيك في معرفة سورة القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءةً و سماعاً و كتابةً في المصاحف و فيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور ، كأن عثمان كان يثبتها برأيه و ينفيها برأيه و حاشاه من ذلك فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له، تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث (٢٠٣).

القول الثالث:

روى عن عثمان أيضا. قاله مالك فيما رواه ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم: أنه لما سقط أولها سقط: بسم الله الرحمن الرحيم معه.

وروى ذلك عن ابن عجلان أنه بلغه أن سورة براءة كانت تعدل البقرة أو قربها فذهب منها ؛ فلذلك لم يكتب بينهما: بسم الله الرحمن الرحيم (٢٠٤). وقال سعيد بن جبير: كانت مثل سورة البقرة (٢٠٥).

---

202 – التاريخ الكبير(٣٦٧/٨)

203 – شرح المثاني و المئين ١٧٦/١

204- أحكام القرآن لابن العربي ٨٧٩/٢ – ٨٨٠ ، ولم نقف على هذا القول عن عثمان رضي الله عنه.

205 -المحرر الوجيز ٣/٣.

القول الرابع:

قاله خارجة وأبو عصمه وغيرهما ؛ قالوا: لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان ؛ اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة. وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان ، وتركت: بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال: هما سورة واحدة ؛ فرضي الفريقان معاً ، وثبتت حجتهما في المصحف(٢٠٦).

والقول الخامس: قال عبدالله بن عباس: سألت على أبي طالب: لم لم يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ؛ و"براءة " نزلت بالسيف ليس فيها أمان(٢٠٧). وروي معناه عن المبرد قال(٢٠٨): ولذلك لم يجمع بينهما فإن بسم الله الرحمن الرحيم رحمة ، وبراءة نزلت سخطه. ومثله عن سفيان ؛ قال سفيان بن عيينه: إنما لم يكتب في صدر هذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف ، ولا أمان للمنافقين (٢٠٩).

والصحيح أن التسمية لم تكتب ؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري.

206 – ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٣ دون نسبة.
207– أخرجه الحاكم ٢ / ٣٣٠
208 – قوله في معاني القرآن للزجاج ٢ /٤٢١.
209 زاد المسير ٣/٣٩٠.

وفي قول عثمان: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها (٢١٠)، دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه ، وأن براءة وحدها ضمت إلى الأنفال من غير عهد من النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك. وكانتا تدعيان: القرينتين (٢١١)، فوجب أن تجمعا وتضم إحدهما إلى الأخرى ؛ للوصف الذي لزمها من الاقتران ورسول الله ρ حي.

المطلب الثاني

أراء العلماء وأدلتهم فى المسألة

اختلف العلماء فى كون البسملة آية من سورة الفاتحة وغيرها أم لا على خمسة أقوال

القول الأول:

هو قول ابن تيمية ورواية عن أحمد والمشهور من مذهب الحنفية أنهاليست آية من الفاتحة ولا من أول كل سورة وإنما نزلت للفصل بين السور(٢١٢).

القول الثانى:

للشافعى وكثير من اصحابه، وهو أن البسملة آية من الفاتحة ومن أول كل سورة(٢١٣).

---

210 وقد سلف الكلام على ضعف هذا القول ، وهو القول الثاني.

211 أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣٩٨/٢ عن عثمان رضي الله عنه.

212- فتاوى النوازل ص ٤١، المبسوط ١٥/١، تحفة الفقهاء ١٢٨/٢، بدائع الصنائع ٢٣/١، فتاوى قاضى خان ١٦٢/١، تبيين الحقائق ١١٢/١، البحر الرائق ٣١٢/١.

المقنع ص٢٨، المغنى ٥٢٢/١، الكافى ١٣٠/١، مجموع الفتاوى ٤٠٦/٢٢، الفروع ٤١٣/١، المبدع ٤٣٤،٤٣٥،الإنصاف ٤٨/٢،الاختيارات الفقهية ص ٥١.

قال النووى وهو من أئمة الشافعية " وأما حكم المسألة فمذهبنا أن بسم الله الرحمن الرحيم آية كاملة من أول سورة الفاتحة بلا خلاف وليست فى أول براءة بإجماع المسلمين. .. وأما البسملة فى أثناء سورة النمل: {إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم}{ النمل:٣٠} فقرآن بالإجماع، فمن جحد منها حرفاً كفر بالإجماع "(٢١٤).

القول الثالث:

للمالكية والمتقدمين من الأحناف أن البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من أول كل سورة ولا للفصل بين السور وإنما كتبت فى المصاحف للتبرك(٢١٥).

ونسبوا هذا القول فى رواية إلى أحمد(٢١٦). وقد نفى صحتها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:".... أحدهما:أنها ليست من القرآن، وإنما كتبت تبركاً بها، وهذا مذهب مالك وطائفة من الحنفية، ويحكى رواية عن أحمد ولا يصح عنه وإن كان وجهاً فى مذهبه(٢١٧).

القول الرابع:

لبعض الشافعية وفى رواية عن أحمد، وبعض أصحابه أن البسملة آية من أول سورة الفاتحة وليست آية فيما عداها من أوائل السور(٢١٨).

213- الأم (١٢٩/١)، المهذب (٧٩/١)، الوجيز (٤٢/١)، المستصفى (١٠٢/١)، روضة الطالبين (٢٤٢/١)، مغنى المحتاج (٤٧٨/١)، الإقناع فى حل الفاظ أبى شجاع (١٢٢/١).

214- المجموع (٣٣٣/٣-٣٣٥).

215- بدائع الصنائع (٢٠٣/١)، البحر الرائق (٣١٣/١)، المُنتقى شرح موطأ مالك (١٥٠/١)، البيان والتحصيل (٣٦٥/١)،الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٩٣/١)، القوانين الفقهية ص (٦٥)، مواهب الجليل (٥٤٤/١).

216- المُغنى (٥٢٢/١)، مجموع الفتاوى (٤٣٨/٢٢)، الفروع (٤١٣/١)، الإنصاف (٤٨/١).

217- مجموع الفتاوى (٤٣٨/٢٢).

218- المجموع (٣٣٢/٣٤)، روضة الطالبين (٢٤٢/١)، المقنع ص (٢٨)، الكافى (١٣٠/١)، المُغنى (٥٢٢/١)، المحرر (٥٤/١)، الفتاوى الكبرى (٢٣/١)، المبدع (٤٣٥/١)، الإنصاف (٤٨/٢).

القول الخامس:

لبعض الشافعية وهم يرون أن البسملة آية كاملة من الفاتحة وأنها جزء آية من أول كل سورة(٢١٩).

الأدلة:أدلة القول الأول:أدلة القول الأول نوعان:

النوع الأول:أدلة إحتجوا بها على أن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة خاصة.

النوع الثانى:أدلة احتجوا بها على أن البسملة ليست آية من أوائل السور عموماً.

أمّا أدلتهم على أن البسملة ليست آية من الفاتحة خاصة فقد استدلوا بالمنقول والمعقول.

فمن المنقول ثلاثة أدلة:

الأول:

قوله تعالى فى سورة الفاتحة " الرحمن الرحيم" فقد استدال بها النسفى و مكى ابن أبى طالب (٢٢٠) والطبرى على أن البسملة ليست آية من أول الفاتحة، ووجه الدلالة عندهم أنها لو كانت آية لكن قوله "الرحمن الرحيم" تكراراً غير مفيد و فى ذلك يقول الطبرى " فإن قال قائل: ما وجه تكرير ذلك فى هذا الموضع وقد مضى وصف الله جل ثناؤه به نفسه فى قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم" مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى ، ومجاورتها صاحبتها بل ذلك لنا صحة على خطأ دعوى من ادعى أن"بسم الله الرحمن الرحيم" من الفاتحة ، إذا لو كان ذلك إعادة آية

219- المجموع (٣٣٣/٣٤)، روضة الطالبين (٢٤٢/١).
220 -تفسير النسفى(٦/١)،ورآى مكى ابن أبى طالب فى البحر المحيط (١٩/١).

بمعنى واحد ولفظ واحدٍ مرتين من غير فاصل يفصل بينهما. وغير موجود فى شئ من آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد ، لا فصل بينهما من الكلام يخالف معناه معناهما ، وإنما يأتى بتكرير آية بكمالها فى السورة الواحدة مع فصول تفصل بين ذلك ، ولا كلام يعترض به بغير معنىَ الآيات المكررات أو غير ألفاظها ولا فاصل بين قول الله تعالى: "الرحمن الرحيم" من "بسم الله الرحمن الرحيم". وقوله "الرحمن الرحيم" من: "الحمد لله رب العالمين"

فإن قال قائل: فإن الحمد لله رب العالمين فاصل بين ذلك. قيل: قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل ، وقالوا: إن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وإنما هو: الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين ملك يوم الدين واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله: "ملك يوم الدين" فقالوا: إن قوله:"ملك يوم الدين" تعليم من الله عباده بوصفه أن يصفوه بالملك فى قراءة من قرأ: "ملك". وبالملك أو الملك ما كان نظير ذلك من الوصف ، وذلك هو قوله: "رب العالمين" الذى هو خبر عن ملكه جميع أجناس الخلق وأن يكون مجاوراً وصفه بالعظمه والألوهه ما كان له نظيراً فى المعنى من الثناء عليه ، وذلك:"الرحمن الرحيم" فزعموا أن ذلك لهم دليل على أن قوله: "الرحمن الرحيم"بمعنى التقديم قبل: "رب العالمين" وإن كان فى الظاهر مؤخراً. وقالوا: نظائر ذلك من التقديم الذى هو بمعنى التأخير ، والمؤخر الذى هو بمعنى التقديم فى كلام العرب أفشى ، وفى منطوقها أكثر من أن يحصى ، ومن ذلك قول جرير بن عطية(٢٢١).

طاف الخيالُ وأين منك لماما(٢٢٢). فأرجع لزَورك بالسلام سلاماَ

221- شرح ديوانه ص (٥٤١).
222- اللمام: الزيادة غِبًّا ، ويقال: فلان يزورونا لماما. أي في الأحايين اللسان (ل م م).

بمعنى: طاف الخيال لماماً ، وأين هو منك؟ وكما قال جل ثناؤه فى كتابه العزيز "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً" {الكهف: ١}

بمعنى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً. وما أشبه ذلك ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون: "بسم الله الرحمن الرحيم" من فاتحة الكتاب آية(٢٢٣).

والمتأمل في كلام الطبري يمكنه الجواب عما ذهب إليه الطبري بوجوه:

الأول: أن دعوى الطبري ومن وافقه أن قوله: "الرحمن الرحيم" من المؤخر الذي حقه التقديم غير صحيح لأن الترتيب القرآني جاء على أعلى درجات الفصاحة والبلاغة لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة الرحمة ثم ذكر شيئين أحدهما ملكه يوم الجزاء ، والثاني العبادة فناسب الربوبية للملك والرحمة العبادة فكان الأول للأول والثاني للثاني(٢٢٤).

الثاني: أن دعوى الطبري ومن وافقه أن تكرارهما دليل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة غير صحيح ، لأن التكرار وراءه فائدة أخرى وهى أن ذكرهما في البسملة تعليل للابتداء باسمه عز شأنه ، وذكرهما هنا تعليل لاستحقاقه تعالى الحمد.

الثالث:

أن قوله تعالى "الرحمن الرحيم" ليس تكراراً لقوله "الرحمن الرحيم" فى البسملة من حيث المعنى لأنه تفصيل لما أجمل فى قوله رب العالمين وبيانه أن التربية تنقسم ببعض الاعتبارات إلى قسمين

223- تفسير الطبري (١/١٤٨، ١٤٩).
224- تفسير البحر المحيط (١/٢٩، ٣٠).

أولهما: التربية بغير واسطة كالكلمة لأنه لا يتصور فى حقه واسطة البتة.

وثانيهما: التربية بواسطة كما فيمن دون الكلمة وهذا الثاني له قسمان أيضاً، قسم ممزوج بألم كما فى تربية العبد بأمور مؤلمة له شاقه عليه ، وقسم لا مزج فيه كما فى تربية كثير من شمله اللطف السبحانى.

والرحمن يشير إلى التربية بالوسائط وغيرها فى عامله، والرحيم يشير إلى التربية بلا واسطة فى كلماته ورحمة الرحمن أيضاً قد تمزج بالألم كشرب الدواء الكريه الطعم والرائحة فإنه وإن كان رحمة بالمريض لكن فيه ما لا يلائم طبعه ورحمة الرحيم لا يمازجها شوب فهى محض النعمة ولا توجد إلا عند أهل السعادة الكاملة(٢٢٥).

وهذا التفصيل هو الذي استشرافه صاحب الظلال بقوله: "هذه الصفة التى تستغرق كل معانى الرحمة وحالاتها ومجالاتها تتكرر هنا فى صلب السورة ، في آية مستقلة ، لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة ، وليثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه. وبين الخالق ومخلوقاته إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء. إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالمودة. فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية(٢٢٦).

الرابع: ما ذكره الرازي من أنه تعالى كرر "الرحمن الرحيم" بعد ذكرهما فى البسملة لبيان أن العناية بالرحمة أكثر من العناية بسائر الأمور فكأنه قال لعباده يجب أن يكون ذكركم أنى رحمن رحيم أكثر من ذكركم أنى آله رب وهذه الرحمة المضاعفة التي يجب عليكم أن تتذكروها لا تلهكم عن أنى مالك يوم الدين ونظيره

225- تفسير الألوسى (٨٢/١) ، تفسير أبى السعود (١٦/١).
226- الظلال (٢٤/١).

قوله تعالى: "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب" {غافر:٢} فذكره (قابل التوب) بعد ذكره لـــ (غافر الذنب) تنبيه على أن غفرانه للذنوب وقبوله للتوبة يجب أن يكون حاضراً فى قلوب العباد أكثر من كونه شديد العقاب(٢٢٧).

الخامس: أن دعوى الطبري ومن وافقه على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة إذ لو كانت آيه لكنا قد أتينا بأيتين متجاورتين بمعنى واحد وهذا لا يوجد إلا بفواصل كثيرة تفصل بين الأولى والثانية غير صحيح لأنه يوجد فى القرآن الكريم آيات بعينها كررت مرات ومعناها واحد و كررت تارة بعد فواصل كثيرة بين الأول والثاني و كررت تارة بعد وجود فاصلة واحد بينهما وأشهر الأمثلة على ذلك قوله تعالى فى سورة الرحمن: "فبأى ألاء ربكما تكذبان" {الرحمن:١٣} فقد كررت هذه الآية أكثر من ثلاثين مرة ومعناه واحد أي: فبأي نعم ربكم الدينية والدنيوية والظاهرة والباطنة يا معشر الجن والإنس تكذبان(٢٢٨).

وتكرر هذه الآية الكريمة جاء الفصل بينهما وبين التي قبلها متنوعاً ففصل تارة بينها بفصلتين "فبأى ألاء ربكما تكذبان خلق الإنسان من صلصل كالفجار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان" {الرحمن١٣-١٦}.

ثم فصل بفاصلة واحدة وهو قوله "رب المشرقين ورب المغربين فبأى ءالآء ربكما تكذبان" {الرحمن١٧-١٨} والفصل بفاصلة واحدة بين الأول والثانى فى تلك السورة هو الأغلب والأكثر إذن فالفصل بفاصلة واحدة بين آية كررت أكثر من ثلاثين مرة واقع فى سورة الرحمن فكذا فى الفاتحة.

227- تفسير الرازى.
228 - تفسير السعدى٥/١٤٩.

وأيضاً قوله تعالى فى سورة المرسلات "ويل يومئذ للمكذبين" {المرسلات:٢٨ }. كررت هذه الآية فى تلك السورة أكثر من خمس مرات مع اتحادها لفظها ومعنها وفصل بينها وبين التى قبلها بثلاث فواصل كما في قوله: "ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأموات وجعلنا فيها زواسى شماخات واسقيناكم ماء فرات" ثم قال "ويل يومئذ للمكذبين"{المرسلات:٢٥ إلى ٢٨} وتارة لفصل بفصيلتين "هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فويل يومئذ للمكذبين" {المرسلات:٣٥ إلى ٣٨} وفى آخر السورة جاء الفصل بفاصلة واحدة "ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين" {المرسلات:٤٦،٤٧} فإذا كان ذلك كذلك فليحمل ما كان في الفاتحة على ما كان في الرحمن والمرسلات من أن الله تعالى جاء بآية كررها لفظاً ومعناً وفصل بينه بفاصلة واحدة.

الدليل الثانى:ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه وفيه:"... فإنى سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول:قال الله تعالى:(قسمتُ الصلاة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد:{الحمد لله رب العالمين}{الفاتحة:٢}، قال الله تعالى:حمدنى عبدى،وإذا قال {الرحمن الرحيم }{الفاتحة: ٣}،قال الله تعالى أثنى على عبدى،وإذاقال (مالك يوم الدين){الفاتحة: ٤}قال: مجدنى عبدى (وقال مرة: فوضنى عبدى) فإذا قال: {إياك نعبد و إياك نستعين }{الفاتحة:٥} قال:هذا بينى و بين عبدى ولعبدى ماسأل، فإذا قال:{ آهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لاالضالين }{الفاتحة:٦،٧} قال هذا لعبدى و لعبدى ما سأل"(٢٢٩).

229 – رواه مسلم فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، رقم ١١،حديث ٣٨، ٢٩٦/١.

ووجه الدلالة من هذا الحديث من وجهين:

الأول: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بدأ بقوله"الحمد لله رب العالمين" دون(بسم الله الرحمن الرحيم) ولو كانت البسملة من الفاتحة لبدأ بها قبل البدء بالحمد.

وقد نوقش الاستدلال بهذا الحديث من خمسة أوجه:

الوجه الأول: أن البسملة لم تُذكر فى الحديث لندراجها فى معنى الآيتين بعده(٢٣٠).

وأجيب عنه بجوابين:

الأول: أن هذا خطأ، لأنه إذا كانت آية غير ما بعدها فلابد من ذكرها ولو جاز ما ذكر لجاز الاقتصار بالقراءة على ما فى السور منها دونها(٢٣١).

الثانى: أن (بسم الله) فيه ثناء على الله، وهو مع ذلك اسم مُختص بالله، فالواجب لا محالة أن يكون مذكوراً فى القسمة إذ لم يتقدم له ذكر فيما قسم من آى السور(٢٣٢).

الوجه الثانى: أن يُقال: أن معناه فإذا انتهى العبد فى قراءته إلى "الحمد لله رب العالمين" وحينئذ تكون البسملة داخلة.

الوجه الثالث: أن يُقال: إن المقسوم ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة، واحترز بالكاملة عن قوله تعالى"وقيل الحمد لله رب العالمين"{الزمر:٧٥}وقوله"وسلام على المُرسلين،والحمد لله رب العالمين" {الصافات:١٨١-١٨٢}، وأمّا البسملة فغير مُختصة.

230- المجموع (٣٣٨/٣).
231- أحكام القرآن للجصاص (٩/١).
232- أحكام القرآن للجصاص (٩/١).

الوجه الرابع:لعل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال ذلك قبل نزول البسملة(٢٣٣):

لكن يمكن الإجابة عن هذا الوجوه بأنها احتمالات بعيدة تخالف ظاهر الحديث.

الوجه الخامس:أنه جاء ذكر البسملة فى رواية أخرى، وهى فقال:"فإذا قال العبد:بسم الله الرحمن الرحيم، قال: ذكرنى عبدى(٢٣٤)،(٢٣٥).

ويُجاب عن هذا الاستدلال بإن الحديث المذكورضعيف لأن فى اسناده إبن سمعان وهو عبد الله بن زياد بن سمعان،وهو متروك الحديث وهو من جهة أخرى حديث شاذ لأنه قد روى هذا الحديث جماعة من الثقات عن العلاء بن عبد الرحمن منهم: مالك بن أنس، وابن جريج وابن القاسم وابن عينيه وابن عجلان والحسن بن حسر، وأبو أويس وغيرهم على اختلاف منهم فى الإسناد واتفاق منهم على المتن، فلم يذكر أحد منهم فى حديثه بسم الله الرحمن الرحيم، واتفاقهم على خلاف ما رواه ابن سمعان أولى بالصواب.

الوجه الثانى: من وجهى الاستدلال:أن الله سبحانه وتعالى نص على المناصفة، ولو كانت البسملة من الفاتحة لم تتحقق المناصفة بل يكون ما لله أكثر مما للعبد،لأن النصف الأول يكون أربع آيات ونصف(٢٣٦).

233- المجموع (٣/٣٣٨).
234- رواه البيهقى فى كتاب الصلاة،باب:تعين القراءة بفاتحة الكتاب (٢/٣٩)، والدارقطنى فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة حديث (٣٥)، (١/٣١٢).
235- المجموع (٣/٣٣٨).
236- بدائع الصنائع(١/٢٠٣).

ونوقش هذا الاستدلال من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:أن الله سبحانه وتعالى لم يرد حقيقة التنصيف، بل أراد به أن الفاتحة قسمان، فأولها له سبحانه وتعالى وآخرها للعبد.

الوجه الثانى:أن المُراد بالتنصيف فى الحديث قسمان:الثناء، والدعاء، من غير اعتبار لعدد الآيات.

الوجه الثالث:أن الفاتحة إذا قُسمت بإعتبار حروفها وكلماتها واعتبرت البسملة منها كان التنصيف فى شطريها أقرب مما إذا قُسّمت بحذف البسملة فلعل تقسيمها باعتبار الحروف(٢٣٧).

الدليل الثالث: استدلوا بحديث أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه وفيه أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال له:"الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أُوتيته"(٢٣٨).

فوجه الدلالة: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم افتتح الفاتحة من قوله تعالى:"الحمد لله رب العالمين" دون البسملة، ولو كانت البسملة منها لابتدأ بها.

أدلتهم من المعقول:

وأمّا أدلتهم من المعقول على أن البسملة ليست آية من الفاتحة خاصة فلهم دليلان:

١_أن كون الآية من سورة كذا ومن موضع كذا لا يثبت إلا بالدليل المتواتر عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وقد ثبت بالتواتر أنها مكتوبة فى المصاحف، ولا

237- المجموع (٣٣٩/٣).

238- رواه البخارى فى كتاب تفسير القرآن، باب ما جاءفى فاتحة الكتاب،١٤٦/٥،وفى كتاب فضائل القرآن، باب فاتحة الكتاب،١٠٣/٦.

تواتر على كونها من السورة، ولهذا اُختُلف فى ذلك، فعدها قراء أهل الكوفة من الفاتحة، ولم يعدها قراء أهل البصرة منها، وهذا يدل على عدم التواتر ووقوع الشبهة والشك فى ذلك، فلا يثبت كونها من السورة مع الشك(٢٣٩).

٢_ أن كون البسملة آية من أول كل سورة مما اختص بقوله الشافعى لا يوافقه فى ذلك أحد من سلف الأمة، وكفى بذلك دليلاً على بطلان هذه المذاهب(٢٤٠).

وقد نوقش هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: أن انفراد الإمام الشافعى_رحمه الله_ بالقول بأن البسملة آية من أول كل سورة ليس دليلاً على بطلانه، فالشافعى أحد الأئمة الأربعة المشهورين، ومشهود له بالعلم والفضل والزهد والورع، كما أنه لم يقل بذلك بدون دليل بل أدلة قوية كما سيأتى، وانفراد العالم بالقول ليس دليلاً على صحة قولهم، بل الصحيح قول من كان معه الدليل، قال الإمام ابن حزم:(ما أمر الله تعالى قط ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بإتباع الجمهور لا فى آية ولا فى خبر صحيح)(٢٤١).

الوجه الثانى: عدم التسليم بانفراد الشافعى بهذا القول، وأنه لم يتابعه فيه أحد من السلف، بل قال بذلك عدد كبير من السلف ، حيث قال النووى "... فكذلك هى"يعنى البسلمة" آية كاملة من أول كل سورة غير براءة على الصحيح من مذهبنا، وبهذا قال خلائق لا يحصون من السلف"(٢٤٢).

وأمّا أدلتهم على أن البسلمة ليست آيه من أوائل سور القرآن عموماً فقد استدلوا بالمنقول والإجماع.

239- بدائع الصنائع (٢٠٤/١).
240- المرجع السابق، الأحكام الفقهية ص (٢٤٢).
241- المحلى (٢٤٦/٣).
242- المجموع (٣٣٤/٣).

أمّا من المنقول فلهم دليلان:-

الأول: مارواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال:"إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى:{تبرك الذى بيده الملك} {الملك: ١}(٢٤٣).

فوجه الدلالة: أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذكر أن مقدار سورة الملك ثلاثون آية ، وقداتفق القراء وغيرهم على أنها ثلاثون آية سوى البسلمة ، ولو كانت منها لكانت إحدى وثلاثين ، وهو خلاف قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم(٢٤٤).

ونوقش هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: أن المراد ما سوى البسملة ، لأنها مختصة بهذه السورة.

الوجه الثانى: أنه يحتمل أن يكون هذا الحديث قبل نزول البسملة فيها ، فلما نزلت أضيفت إليها بدليل كتابتها فى المصاحف(٢٤٥).

وللإجابة عن هذين الوجهين: يمكن الإجابة عنهما بأن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر فى الحديث بأن السورة قد نزلت كاملة ، وأن قدرها ثلاثون آية يقول:"إن سورة من القرآن ثلاثون آية" وبهذا يبطل كل احتمال.

الثانى: ما روته عائشة رضى الله عنها من حديث بدء نزول الوحى على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والذى جاء فيه:"...فغطنى الثالثة ثم أرسلنى ، فقال:{أقرأ

243- رواه أبو داود فى كتاب الصلاة، باب ما جاء فى عدد الآى ، حديث (١٤٠) (٥٧١٢) و سكت عنه. والترمذى فى أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء فى سورة الملك ، حديث (٣٠٥٢) (٢٣٨١٤) وقال:"هذا حديث حسن". ابن ماجة فى كتاب الأداب ، باب ثواب القرآن رقم (٥٢) ، حديث (٣٧٨٦) ، (١٢٤٤/٢) ، والحاكم فى كتاب فضائل القرآن (٢٥٦٥/١) ، وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه بهامشه.

244- أحكام القرآن للجصاص (١١/١) ، بدائع الضائع (٢٠٤/١) ، الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم للدكتور عبد العزيز محمد عبدالله المجيلان ص (٢٤١).

245- المجموع (٣٤١/٣).

باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم} {العلق:١-٣} فرجع بها النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. ..." الحديث(٢٤٦).

فوجه الاستدلال:يمكن توجيه الاستدلال بهذا الحديث بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يذكر البسلمة فى أول السورة ، لو كانت منها لذكرها قبل البدء بالسور فى قوله {أقرأ}.

يمكن مناقشة الدليل: بأن البسملة نزلت بعد ذلك كالنظائر لها من الآيات التى تأخرت فى النزول عن السور التى أثبتت فيها(٢٤٧).

الدليل الخامس: ما رواه عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال:"كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يعرف فصل السور حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم"(٢٤٨).

فوجه الاستدلال: أن ابن عباس رضى الله عنهما أخبر أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يعرف الفصل بين السور إلا بنزول البسملة ، وهذا يدل على أنها نزلت للفصل ، وليس فيه أنها آية منها(٢٤٩).

ويمكن مناقشة هذا الدليل: بأن موضع الدلالة قوله:"حتى ينزل" فأخبر بنزول البسلمة وهذه صفة كل القرآن ، وتقدير الله لا يعرف بالشروع فى سورة أخرى إلا البسملة فإنها لا تنزل إلا فى أوائل السور(٢٥٠).

246- رواه البخارى فى باب كيف كان بدء الوحى إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (٣/١) ، ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب بدء الوحى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رقم (٧٣) ، حديث (٢٥٢) (١٤٠/١_١٤١).

247- المجموع (٣٤٠/٣).

248- رواه أبو دواد فى كتاب الصلاة ، باب من جهر بها (يعنى البسملة) حديث (٧٨٨) (٢٠٩/١) وسكت عنه.

249- مجموع الفتاوى (٤٣٩/٢٢).

250- المجموع (٣٣٨/١٣).

دليل الإجماع:

وأما دليلهم من الإجماع فقد قالوا: إن الفقهاء والقراء قد أجمعوا على أن سورة الكوثر ثلاث آيات ، وسورة الإخلاص أربع آيات ، ولو كانت البسملة منهما لكانت سورة الكوثر أربع آيات ، وسورة الإخلاص خمس آيات ، وهذا خلاف الإجماع(٢٥١).

ويمكن مناقشة هذا الدليل: أن بسم الله مكتوبة فى أوائل السور بخط القرآن فوجب كونها قرآناً.

وأيضاً فإنه يمكن القول بأن" بسم الله الرحمن الرحيم" وما بعدها من سورة الملك والكوثر والإخلاص آية واحدة وبذلك يزول الإشكال ويبطل الاستدلال. ولا يعترض على هذا بأن (الرحمن الرحيم) آية تامة من سورة الفاتحة فكيف تجعلونها جزء آية من الملك والكوثر والأخلاص قلنا: هذا غير بعيد ألا ترى أن قوله:{ الحمد لله رب العالمين؟}{الفاتحة:٢} آية تامة ، ثم صار مجموع قوله {وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين}{يونس:١٠} آية واحدة: فكذا ههنا وأيضاً فقوله سورة الكوثر ثلاث آيات يعنى ما هو خاصية هذه السورة ثلاث آيات.

وأمالتسمية فهى كالشئ المشترك فيه بين جميع السور فسقط السؤال(٢٥٢).

أدلة القول الثانى: القائلون بأن البسملة آية من الفاتحة وأوائل كل سورة لهم نوعان من الأدلة.

أدلة تثبت أن البسملة آية من الفاتحة خاصة ، وأدلة تثبت أن البسملة آية من أول كل سورة.

---

251 - أحكام القرآن للجصاص ١١/١،المبسوط١٦/١،بدائع الصنائع٢٠٤/١

252- تفسير الرازى (٢٠٣/١).

أمّا أدلتهم على أن البسملة آية من سورة الفاتحة فلهم دليلان من المنقول.

الدليل الأول: ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:"إذا قرأتم {الحمد لله رب العالمين} {الفاتحة – ٢} فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن والسبع المثانى ، بسم الله الرحمن الرحيم أحداها"(٢٥٣) وهذا الحديث واضح الدلالة.

وقد نوقش هذا الدليل من خمسة وجوه:-

الأول: أنه يجوز أن يكون قوله:"فإنها إحداها" من قول أبى هريرة رضى الله عنه لأن الراوى قد يدرج كلامه(٢٥٤) فى الحديث من غير فصل بينهما لعلم السامع بمعناه ، ومثل ذلك كثير فى الأخبار ، فغير جائز فيما كان هذا وصفه أن يعزى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بالاحتمال(٢٥٥).

و يجاب عنه بإن هذا احتمال ضعيف ، لأنه يبعد من أبى هريرة رضى الله عنه أن يدرج كلامه فى الحديث دون أن ينبه على ذلك خاصة فى هذه المسألة العظيمة.

الثانى: بأنه يجوز أن يكون أبو هريرة رضى الله عنه قال ذلك من جهة أنه سمع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يجهر بها فظنها من السورة ، لأنه قد روى الجهر بها عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم(٢٥٦).

253- رواه الدار قطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة، حديث (٣٦) (٣١٢/١).

254 -

255- أحكام القرآن للجصاص (١١/١).

256- المرجع السابق.

الثالث: أن فى الحديث أضطراباً، و أن مدار الحديث على عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبى بلال عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ولم يرفعه ، وذكر ذلك أبو بكر الحنفى فقال:"لقيت نوحاً فحدثنى به عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ولم يرفعه"(٢٥٧).

والأختلاف فى السند ، والتوقف يوجب ضعفاً فى الحديث.

الرابع: بأنه قد عارضه ماهو أقوى منه وهو ما رواه أبو هريرة من حديث القسمة فلا يقبل فى معارضته.

ونوقش هذا الدليل بأنه خلاف ظاهر الحديث فظاهره يدل على أنها آية لابتداء السور، وبها يعرف الفصل بينهما.

الخامس: بأن خبر الواحد لا يوجب العلم ، وكون البسملة من الفاتحة لا يثبت إلا بالنقل الموجب للعلم(٢٥٨).

وللإجابة عن هذا الوجه من المناقشة: يمكن الإجابة عنه بأن إفادة خبر الواحد العلم محل خلاف بين الأصوليين ، فلا يصح الاحتجاج به.

الدليل الثانى: ماروته أم سلمة رضى الله عنها قالت:"كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا قرأ يقطع قراءته آية أية:{بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم} {الفاتحة١-٣}(٢٥٩).

257- بدائع الصنائع١/٢٠٤

258- بدائع الصنائع (٢٠٤/١).

259- رواه الدار قطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها ، حديث (٣٧) ، (٣١٣/١) ، وقال:"اسناده صحيح وكلهم ثقات" والحاكم فى كتاب التفسير (٢٣٢/٢) وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى وابن خزيمة فى كتاب الصلاة ، باب ذكر الدليل على بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب رقم (٩٧) حديث (٤٩٣) ، (٢٤٨/١_٢٤٩) ، وأحمد (٣٠٢/٦).

وهذا الحديث واضح الدلالة.

ونوقش هذا الدليل من وجهين:-

الأول: أنه من رأى أم سلمة رضى الله عنها ولا ينكر الاختلاف فى ذلك.

الثانى: أننا نسلم بأنها آية ، ولكنها آية مفردة للفصل بين السور(٢٦٠).

وأمّا أدلتهم على أن البسملة آية من كل سورة فقد استدلوا بالمنقول و المعقول.

أمّا أدلتهم من المنقول فدليلان:-

الأول: مارواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذات يوم بين أظهرنا فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع راسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: نزلت علىّ آنفاً سورة ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم:{إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وأنحر إن شانئك هو الأبتر} {الكوثر:١_٣}(٢٦١). فوجه الاستدلال بهذا الحديث أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبر الصحابة رضى الله عنهم بنزول سورة عليه، ثم ابتدأ بالبسملة ، ثم قرأ سورة الكوثر ، وهذا يدل على أن البسملة من السورة.

ونوقش هذا الدليل: بأنه غير ظاهر الدلالة ، فيمكن حمل بسملة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيه بأنه أراد قراءة السورة من أولها ، والتسمية مشروعة عند ابتداء السورة بالإجماع ، ولأنه لو قرأها بدون البسملة لربما تشوف السامعون إلى أول السورة ، فلما بسمل زال ذلك.

260- المغنى (٥٢٣/١).

261- رواه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب صحة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة رقم (١٤) ، حديث (٥٣) ، (٣٠٠/١).

الثانى: مارواه عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال:"كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم"(٢٦٢).

فوجه الاستدلال: يمكن توجيه الاستدلال بهذا الحديث بان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان لا يعرف بدء السورة إلا حينما ينزل عليه جبريل عليه السلام بالبسملة ، وهذا يدل على أنها كانت تنزل مع أول كل سورة ، وأنها منها.

أمّا أدلتهم من المعقول:

أن الصحابة رضى الله عنهم قد أجمعوا على إثبات البسملة فى المصحف فى أوائل السور إلا سورة التوبة بخط المصحف ، بخلاف الأعشار وتراجم السور فإن العادة كتابها بخط متميز، فلو لم تكن قرآنا لما استجاز الصحابة رضى الله عنهم ذلك من غير تمييز ، لأن ذلك يحمل على اعتقاد كونها من القرآن ، فيكونون مغررين بالمسلمين ، حاملين لهم على اعتقاد قرآنية ماليس بقرآن ، وهذا مما لا يجوز اعتقاده فى الصحابة رضى الله عنهم(٢٦٣).

ونوقش هذا الدليل بأن هذا مُسلّم به ولكنه لا يدل على كونها من القرآن لا على كونها من السورة ، وذلك لجواز أنها كتبت للفصل بين السور لا لأنها منها ، فلا يثبت كونها من السورة مع هذا الاحتمال(٢٦٤).

262- رواه البخارى فى باب كيف كان بدء الوحي إلى النبى صلى الله عليه وسلم (٢٣/١) ، ومسلم فى كتاب الإيمان ، باب بدء الوحى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم رقم (٧٣) ، حديث (٢٥٢) (١٤٠/١_١٤١).

263- المستصفى (١٠٣/١) ، الإحكام فى أصول الأحكام (١٦٣/١) ، المجموع (٣٣٥/٣_٣٣٦) ، الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع (١٢٣/١).

264- بدائع الصنائع (٢٠٤/١) ، المغنى (٥٢٣/١).

وأجيب عن هذه المناقشة بثلاثة أوجه:

الأول: أن هذا فيه تغرير بالمسلمين ، ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل بين السور.

الثانى: أنه لو كانت كتابتها فى المصحف للفصل لكتبت بين الأنفال والتوبة ولما حسن كتابتها فى أول سورة الفاتحة.

الثالث: أن الفصل يمكن حصوله بدون البسملة ، وذلك بتراجم السور كما حصل بين الأنفال والتوبة(٢٦٥).

أدلة القول الثالث: القائلون بأن البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من أول كل سورة و لا للفصل بين السور و إنما كتبت فى المصاحف للتبرك استدلوا بالمنقول والمعقول.

أمّا أدلتهم من المنقول: فأربعة،

الأول: حديث أبى هريرة ، والثانى: حديث سعيد بن المعلى ، والثالث: حديث عائشة رضى الله عنهم والثلاثة مضى ذكرها ومناقشتها عند ذكر أدلة القول الأول.

وأمّا رابعها: فهو الأثر المروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه حيث قال:"قمتُ وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إذا افتتح الصلاة"(٢٦٦).

265- المجموع (٣٣٦/٣).

266- رواه الإمام مالك فى كتاب الصلاة ، باب العمل فى القراءة ، رقم (٦) ، حديث (٣٠) ، (٨١/١) وبهذا اللفظ ، رواه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب صحه من قال: لا يجهر بالبسملة ، رقم (١٣) ، وحديث (٥٠) ، (٢٩٩/١) مرفوعا بلفظ:"صليت مع رسول الله صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّم وأبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، فلم اسمع منهم من يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم".

فوجه الدلالة منه:أن الخلفاء الثلاثة المذكورين رضى الله عنهم أقاموا للناس الصلاة أربعاً وعشرين سنة بحضرة المهاجرين والأنصار وجماعة المسلمين لا يقرؤن البسملة ، فلو كانت من الفاتحة لما جاز إقرارهم على ذلك كما لو تركوا قراءة الفاتحة ، فتركهم للقراءة بها وإجماع الصحابة على ذلك مع أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة جميع الفاتحة يُعد دليلاً واضحاً وإجماعاً مستقراً على أن البسملة ليست منها(٢٦٧).

ونوقش هذا الدليل: بأن عدم قراءة هؤلاء الخلفاء للبسملة عند الافتتاح لا يدل على أنهم لا يقرؤنها مطلقاً ، بل يُحمل على أنهم كانوا يسرون بقراءتها ، لأنه ليس من ضرورة كونها آية من القرآن الجهر بها كالفاتحة فى الأخريين من الرباعية والثالثة من الثلاثية(٢٦٨).

أمّا أدلتهم من المعقول: فقد قالوا إن القرآن إنما يثبت بالنقل ، ولا يخلو إثبات كون البسملة آية منه إما أن يكون بطريق التواتر أو بطريق الآحاد ، ولا يجوز أن يكون بنقل التواتر ، لأنه لو كان كذلك لبلغنا كما بلغكم ، ولأن أدلتكم لا تفيد ذلك ، ولا يجوز أن يكون بخبر الآحاد ، لأن القرآن لا يثبت به(٢٦٩).

ونوقش هذا الدليل: بأن الاختلاف فيما نحن فيه لم يقع فى إثبات كون البسملة من القرآن فى الجملة حتى يشترط القطع فى إثباتها ، وإنما وقع فى كونها آية فى أوائل السورة والقطع غير مشترط فيه ولهذا وقع الخلاف فى ذلك من غير تكفير أحد الفريقين للآخر.(٢٧٠).

267- المنتقى شرح موطأ مالك (١/١٥١).
268- المبسوط (١/١٦) ، أصول السرخسى (١/٢٨١). الأحكام الفقهية ص (٢٤٨).
269- المنتقى شرح موطأ مالك (١/١٥١).
270- المستصفى (١/١٠٥) ، الإحكام (١/١٦٤) ، الأحكام الفقهية ص (٢٤٩).

وقد اعترض على هذه المناقشة باعتراضين:

الأول: أنه كان يجب على النبى صلى الله عليه وسلم أن يبين كونها من القرآن حيث كتبت معه بياناً قاطعاً للشك كما فعل فى سائر الآيات.

والأجابة عن ذلك: أنه مردود بمثله ، وذلك أنها لو لم تكن من القرآن لبين ذلك بياناً قاطعاً للشك كما فعل فى الاستعاذة ، بل البسملة أولى ، لأ نها مكتوبة بخط القرآن فى أول كل سورة ، ومنزلة على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مع أول كل سورة وهذا مما يوهم أنها من القرآن مع علمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بذلك وقدرته على البيان(٢٧١).

الثانى: أن كل ما هو من القرآن منحصر يمكن بيانه ، بخلاف ماليس منه فإنه غير منحصر ، فلا يمكن بيان أنه ليس من القرآن ، فلهذا قيل بوجوب بيان ماهو من القرآن دون ما ليس منه.

والإجابة عن ذلك: باننا لم نوجب بيان كل ما ليس من القرآن أنه ليس منه، وإنما الذى أوجبناه بيان ما يسبق إلى الأفهام أنه من القرآن بتقدير ألا يكون منه كما فى البسملة ، ولا يخفى أن ذلك منحصر(٢٧٢).

أدلة القول الرابع: استدل أصحاب القول الرابع على أن البسملة آية من الفاتحة دون غيرها من أوائل السور بنفس الأدلة التى استدل بها أصحاب القول الثانى القائلين بانها آية من الفاتحة وغيرها من السور.

واستدلوا على أنها ليست آية من أوائل باقى السور بأدلة بأصحاب القول الأول القائلين بأنه ليست آية من أوائل كل سورة(٢٧٣).

271- المستصفى (١/١٠٥) ، الإحكام فى أصول الأحكام (١/١٦٤).
272- الإحكام فى أصول الأحكام (١/١٦٤).

أدلة القول الخامس: استدل أصحاب القول الخامس على أنها آية من أول الفاتحة بحديث أبى هريرة الذى استدل به أصحاب القول الثانى وقد مضى نصه ومناقشة الاستدلال به.

أما استدلالهم على أنها جزء آية من أول كل سورة بعد الفاتحة فيمكن أن يستدل لهم بأدلة القائلين بأنها آية من أول كل سورة لأنه إذا ثبت أنها آية من أول كل سورة فإن ذلك لا يمنع من القول بأنها بعض آية ويصبح الخلاف حينئذ محصوراً فى كونها آية أو بعض آية

الترجيح: الراجح فى نظرى_والله أعلم_ أن البسملة آية من أول الفاتحة خاصة وبعض آية من أول كل سورة بعد الفاتحة سوى براءة. وذلك لما يأتى:-

أولاً: أن ما بين دفتى المصحف منقول بالتواتر والبسملة فى المصحف الذى بين أيدينا هى الآية الأولى فى ذلك المصحف الذى هو برواية حفص عن عاصم.

ثانياً: أن الله تعالى قال فى شأن القرآن. " وإنه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"{فصلت:٤٢} فالباطل المنفى عن القرآن هو الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل فلو كانت البسملة ليست آية ولا جزء آية لكان ذلك زيادة على القرآن وقد حفظه الله من الزيادة والنقصان بقوله{إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون} {الحجر- ٩}.

ثالثاً: وأيضاً فإن الصحابة لما جمعوا المصحف فى عهد عثمان رضى الله عنه جردوا المصحف من كل ما ليس بقرآن فلو كانت البسملة ليست قرآناً لما أثبتوها فى المصحف.

273- الأحكام الفقهية ص (٢٥٠).

رابعاً: أن القول بأنه آية من الفاتحة و أنها جزء آية من باقى السور يجعل الخلاف بين العلماء خلافاً لفظياً لا ثمرة له حيث أنه لا يقدح فى صحة الصلاة أو بطلانه كما أنه لا يؤثر فى عدد آى القرآن لأن الخلاف فى عدد آى القرآن بالجملة والخلاف فى عدد آى القرآن سورة ، سورة واقع ومتحقق سواء أكانت البسملة آية مستقلة من أول كل سورة أو بعض آية أو ليست آية.

خامساً: أن القول بأنها آية من الفاتحة و جزء آية من أول كل سورة يؤدى إلى أن يحصل قارئها على ثواب قراءة ثلاثة عشرين حرفاً و قراءة الحرف بعشر حسنات و ذلك أولى من القول بعدم قرآنيتها.

المبحث الخامس

فى الأحكام الشرعية للبسملة وفيه مطالب:

المطلب الأولى :عدد آياتها:

للعلماء أقوال في عدد آيات البسملة في القرآن الكريم:

فهي عند الإمامين ؛ أبي حنيفة وأحمد: آية واحدة فقط ، وعند الإمام الشافعي وأصحابه: ثلاث عشرة آية ومائة آية(٢٧٤). وقياس مذهب الإمام مالك أنها ليست بآية ولا تعد.

قال التفتازاني: " فإن قيل: فعلى ما اختاره المتأخرون هل يبقى لختلاف بين الفريقين؟.

قلنا: نعم ؛هي عند الشافعية: مائة وثلاث عشرة آية من السور، كما أن قوله تعالى {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} {الرحمن ١٣:} عدة آيات من سورة الرحمن وعند الحنفية: آية واحدة من القرآن، كررت للفصل والتبرك، وليست بشيء من السور)"(٢٧٥). وقد تابع العبادي من الشافعية التفتازاني فيما ذهب إليه (٢٧٦).

قلتُ: وفي هذا البناء الذي ذكره التفتازاني، والعبادي، نظر إذا قورن بما ذكره بعض العلماء من الإجماع، على ترك عدها آية من كل سورة(٢٧٧).

274- شرح التلويح على التوضيح ١ /٤٧، والآيات البينات ٤٩٩/١.
275 - شرح التلويح، الموضع السابق، وانظر أيضًا: فواتح الرحموت ١٤/٢.
276 - الآيات البينات ٣٩٩/١
277- الضياء اللامع شرح جمع الجوامع ٣٣/٢.

المطلب الثاني:

حكم من أثبت قرآنيتها أو نفاه:

في إثبات قرآنيتها بخبر الواحد:

على القول بأن البسملة، آية من القرآن الكريم، حكمًا لا عملا لا قطعًا – تار -يقبل في إثباتها خبر الواحد ؛ كسائر الأحكام الشرعية. وعلى القول بأنها آية، علمًا وقطعًا ؛ لايقبل في إثباتها خبر الواحد، كسائر القرآن الكريم، وقد صرح بهذا البناء كل من النووي،والزركشي من الشافعية (٢٧٨) قال الزركشي: وبنوا على هذا الخلاف: أنه هل يقبل في إثباتها خبر الواحد؟ إن قلنا: آية حكمًا فنعم، كسائر الأحكام، وإن قلنا: قطعًا، فلا كسائر القرآن(٢٧٩).

أما المسألة بين القطعية والظنية(٢٨٠)

اختلف العلماء في وضع البسملة، في أوائل سور القرآن الكريم، أهي من المسائل التي يشترط القطع في طريق إثباتها أو نفيها، ويجزم بخطأ المخالف فيها،

278-المجموع شرح المهذب ٣/٣٣٣ وتشنيف المسامع ١/٣١٠.

279- التشنيف، الموضع السابق.

280- القطع والظن ممَّا اختلف العلماء في المراد بهما، ومن تلك المعاني ما قاله التفتازاني في تعريف القطع في التلويح على التوضيح ١/٣٥: "يطلق على نفي الاحتمال أصلا، وعلى نفي الاحتمال الناشيء عن دليل". وما قاله الطوفي في تعريف الظن في شرح مختصر الروضة ١/١٦١: "الظن: حكم راجح غير جازم" . وقد تتبع صاحب كتاب(القطع والظن عند الأصوليين) في جـ ١ ص ٣٨-٤٢، و ص ٩٤- ٩٩ آراء العلماء في معنى كل من القطع والظن. كما فرق الطوفي بين المسائل القطعية والظنية ويقال ((الاجتهادية)) فقال في شرح مختصر الروضة ٣/٦١٥-٦١٦:" والفرق بين المسائل الاجتهادية والقطعية مبهم. ..فأقول: القطعية: ما وجب اعتقاد الحكم فيها قطعًا، ولم يجز اعتقاد نقيضه ولا جوازه، وإن كان محتم لا. والاجتهادية: بخلافه. فما دل عليه دليل قاطع لايحتمل الخلاف، أو احتمله احتما لا ضعيفا ؛ ليس له من القوة ما يعول عليه لأجله فهو قطعي، وما دل عليه دليل ظني، يحتمل النقيض، احتمالا قويًا يعذر فيه من صار إليه، عق لا وعرفا، فهو اجتهادي. فأحكام الشريعة بموجب هذا التقرير ثلاثة أقسام ؛ لأن الحكم إمَّا أن يستند إلى قاطع، أو محتملا احتمالا لايسوغ التعويل عليه، لبعده فهو قاطع ؛ كمسألة وجود الصانع ... وإمَّا أن يستند إلى دليل ظني، يحتمل النقيض احتما لا قويًا، فهو اجتهادي ؛ كأحكام الفروع الفقهية وأكثر أصول الفقه. ." .. وقريب من هذا المعنى في المسودة الأصولية ص ٤٤١

ويلزمه التكفير، أم أنها من المسائل الظنية، التي يسوغ فيها الاجتهاد والنظر ؟ ولا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي ولا للمثبت(٢٨١)، ولهم في ذلك قولان رئيسان:

القول الأول: أن المسألة قطعية، وممن قال بهذا: ابن أبي هريرة، وسليم الرازي من الشافعية، والقاضي الباقلاني، وابن الحاجب من المالكية. ثم اختلفوا فيما بينهم، فقطع الشافعيان: بالإثبات، وسـ[illegible]ان بالنفي. وصرح القاضي الباقلاني: بتخطئة المخالف دون تكفيره، وانتقد ابن تيمية وابن السبكي قول القاضي بالتخطئة.

أمَّا التكفير: فذكر سليم الرازي: أنه يلزم على القول بأنها من الفاتحة قطعًا، تكفير النافي، وتفسيق التارك لها، وذلك فيما حكاه عنه بعض الشافعية(٢٨٢) وقال النووي: " قال أبو علي بن أبي هريرة: هي آية من أول كل سورة غير براءة قطعًا"(٢٨٣). وجاء في تشنيف المسامع: " على أن العمراني حكى في زوائده عن صاحب الفروع: أنا إذا قلنا: إنها من الفاتحة قطعًا كفرنا نافيها، وفسقنا تاركها (٢٨٤)

قال الباقلاني: " فان قيل: فإذا قلتم: ان بسم الله الرحمن الرحيم ليست آية من الحمد، ولا من كل سورة هي في افتتاحها، فهل تكفرون من قال: إنها من الحمد ؟.

قيل له: لا ..بل الواجب أن نقول: إن معتقد كونها من الحمد، ومن كل سورة، أوآية منزلة مفردة فاصلة بين السور، مخطئ ذاهب عن الحق. ..وكان بذلك متأوِّ لا ضربًا من التأويل، لا يصيره بمنزلة من ألحق بالقرآن ما قد علم ضرورة من دين الرسول وباتفاق أمته أنه ليس من القرآن(٢٨٥) وقال ابن تيمية: ..." قطع بعض

281- المستصفى ١٠٤/١ ، و الأحكام ١٦٤/١ ، و مجموع الفتاوى ٣٩٨/١٣، ٤١٨

282- المستصفى ١٠٢/١-١٠٣ و المجموع شرح المهذب ٣٣٣/٣ ، و المختصر بشرح العضد ١٩/٢ ، و رفع الحاجب ، و تشنيف المسامع ٣١٠/١ ، ٨٩/٢ ، والغيث الهامع ١٠١/١.

283-المجموع شرح المهذب ٣٣٣/٣.

284-تشنيف السامع ٣١٠/١

285- الانتصار للقرآن ٢٦٥/١ ، و المستصفى ١٠٢/١-١٠٣

هؤلاء ؛ كالقاضي أبي بكر بخطأ الشافعي، وغيره، ممن أثبت البسملة، آية من القرآن في غير سورة النمل ؛ لزعمهم أن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن، فإنه يجب القطع بنفيه، والصواب: القطع بخطأ هؤلاء(٢٨٦) وقال ابن السبكي " - واعلم - أن ذكر هذه المسألة في الأصول فضول، وذهاب القاضي أبي بكر إلى أنها قطعية ضعيف. .. وقول القاضي: أستخيرُ الله وأقطع بخطأ الشافعي، معترض: بأنا نبادر إلى القول بتخطئة القاضي من غير توقف، ولا نلعثم لأ ن الإقدام على ذلك خير محض، وعبادة بتة.....(٢٨٧) ثم قال بعد ذلك: " وقد وقع في شرح القطب الشيرازي: (أن القاضي قال: إن الخطأ فيها إن لم يبلغ إلى حد التكفير، فلا أقل من التفسيق).

وهذا مختلق على القاضي، معاذ الله أن يقول ذلك. ولقد بحثت عن كلماته، ووقفت على كتابه (الانتصار لنقل القرآن) -وهو من نفائس كتبه – فوجدته قد أشبع القول فيه، ولم يتعرض لفسق، وسبحان الله القاضي أجل من ذلك ! أو من طالع كلامه، وجده أشد الخلق تعظيمًا للشافعي"...(٢٨٨) قلت: وأنا لم أجد ما نسب للباقلاني؛ من القول بالتفسيق في مظان المسألة ؛ من كتابه الانتصار(٢٨٩).

وقال ابن الحاجب: " والقطع بأنها لم تتواتر في أوائل السور قرآنًا، فليست بقرآن فيها قطعًا"(٢٩٠).

286- مجموع الفتاوى ١٣/٣٩٨-٣٩٩.
287-رفع الحاجب ٢/٨٩.
288 - رفع الحاجب ٢/٨٩ ، و ما نسب إلى الباقلاني من قوله بتفسيق المخطئ لدى الرازي في التفسير الكبير ١/٢٠٠.
289- الانتصار ١/٢٠٦-٢٦٦.
290-المختصر بشرح العضد ٢/١٩.

أدلة القول الأول أمَّا القطع بالإثبات الذي ذهب إليه ابن أبي هريرة ومن وافقه، فلم أقف له على دليل؛ بل نقل النووي وغيره إنكار إمام الحرمين عليه، حيث قال: " وضعف إمام الحرمين و غيره ، قول من قال: إنها قرآن على سبيل القطع، قال الإمام: و هذه عبارة عظيمة من قائل هذا ؛ لأن ادعاء العلم حيث لا قاطع محال"(٢٩١).

فإن قيل: فالأدلة الدالة على إثبات قرآنيتها حيثما وردت، كيف العمل بها ؟

قلتُ: أولا: تلك الأدلة لم تفد القطع عند المخالف.

ثانيًا: إذا سلم إفادتها القطع ؛ فإنَّمَا نشأ ذلك القطع، عن خبر الواحد المحتف بالقرآئن، لا من التواتر(٢٩٢).

وأمَّا ما حكي عن سليم الرازي، من لزوم التكفير للنافي، والتفسيق للتارك لهاعلى القول بأنها من الفاتحة قطعًا، فيمكن أن يجاب عنه بجوابين:

الأول: أن ما ذكره، مخالف لإجماع العلماء على عدم التكفير، لكل من النافي والمثبت، ولذا قال الزركشي بعد أن ساق كلامه: "لكن المعروف الأول"(٢٩٣). أي:عدم التكفير.

الثاني:أن لازم المذهب ليس بمذهب، عند إمامه الشافعي، فلايصح التلازم.(٢٩٤).

.وأمَّا القطع بالنفي، الذي ذهب إليه الباقلاني، ومن وافقه فمن أدلته ما يلي:

291-المجموع شرح المهذب ٣/٣٣٣.
292-بيان المختصر ١/٤٦٤ ، و تيسير التحرير ٣/٧ ، و الغيث الهامع ١/١٠٢.
293- تشنيف السامع ١/٣١٠
294- مجموع الفتاوى ٥/٢٠،٣٠٦/٢١٧٠.

أولا: لو كانت البسملة، آية من القرآن الكريم، في غير سورة النمل،لوجب على رسول الله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بيّان ذلك بيانًا، شافيًا، كافيًا،قاطعًا للشك، والاحتمال، موجبًا للعلم، قاطعًا للعذر، رافعًا لاختلاف الأمة.

وأُجيب: بأنها لولم تكن من القرآن، في تلك المواضع لوجب عليه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – التصريح بأنها ليست منها ؛ دفعًا للتوهم، ولأشاع ذلك، إشاعة تقطع الشك، كما هو الحال في التعوذ والتشهد، بل أولى.

ثانيًا: أن ما ليس من القرآن، من الكثرة بحيث لايمكن حصره، بخلاف ما كان من القرآن ؛ فإنه ينحصر فوجب بيانه، والتضييق عليه.

وأجيب: بأنا إنَّمَا أوجبنا بيان ما يسبق إلى الفهم أنه من القرآن، وليس منه،وهذا محصور جدًا ؛ بل هو أقل من بيان ما هو من القرآن (٢٩٥) قال الغزالي فإذا القاضي – رَحِمَهُ اللهُ – يقول: لو كان من القرآن،لقطع الشك بنص متواتر، تقوم الحجة به. ونحن نقول: لولم يكن من القرآن، لوجب على رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – التصريح بأنه ليس من القرآن، وإشاعته، ولنفاه بنص متواتر، بعد أن أمر بكتبه بخط القرآن ؛ إذ لا عذر في السكوت، عن قطع هذا التوهم. فأمَّا عدم التصريح، بأنه من القرآن، فإنه كان اعتمادًا على قرائن الأحوال؛ إذ كان يملي على الكاتب مع القرآن، وكان رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في أثناء إملائه، لايكرر مع كل كلمة وآية أنها من القرآن ؛ بل كان جلوسه له وقرائن أحواله تدل عليه، وكان يعرف كل ذلك قطعًا(٢٩٦).

295- الدليلين و جوابهما في: الانتصار للقرآن ٢٤٩/١-٢٥٢ ، و المستصفى ١٠٢/١-١٠٣ ، الإحكام ١٦٤/١-٣٢٨.

296-المستصفى ١٠٢/١-١٠٤.

وأمَّا ما نقل عن القاضي الباقلاني، من قوله بتخطئة مخالفه، فقد أجاب عنه الغزالي بقوله: " والجواب: أنا نقول: لا وجه لقطع القاضي بتخطئة الشافعي– رَحِمَهُ اللهُ – ؛ لأن إلْحَاق ما ليس بقرآن بالقرآن كفر،كما أنه من أُلحق القنوت، أو التشهد أو التعوذ بالقرآن،فقد كفر،فمن ألحق البسملة لم لا يكفر؟ (٢٩٧).

قلتُ: معنى هذا: أن الخطأ والكفر متلازمان، وقد انتفى الكفر بالإجماع،فلينتف القطع بالخطأ.

أمَّا ما نسب للباقلاني، من القول بالتفسيق، فلم يثبت عنه ذلك، كما صرح به ابن السبكي، فيما سبق. ولم أقف عليه في الانتصار.

القول الثاني: أن المسألة ظنية، فهي من موارد الاجتهاد والنظر، وليست بقطعية، وهذا قول جمهور العلماء، ومنهم الغزالي، والآمدي، والقرطبي، وابن تيمية، وابن السبكي(٢٩٨).

قال الغزالي: " فإن قيل: فالمسألة صارت نظرية، وخرجت عن أن تكون معلومة، بالتواتر علمًا ضروريًا، فهي قطعية أو ظنية ؟.

قلنا: الإنصاف أنها ليست قطعية ؛ بل اجتهادية"(٢٩٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وسواء قيل: بالقطع في النفي، أو الإثبات، فذلك لايمنع كونها من موارد الاجتهاد، التي لا تكفير، ولا تفسيق فيها، للنافي ولا للمثبت"(٣٠٠).

297-المستصفي ١٠٣/١.
298- المستصفى ١٠٤/١ ، و الأحكام ١٦٤/١ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١ ، ورفع الحاجب ٨٧/١ ، و مجموع الفتاوى ٣٩٩/١٣
299- المستصفي ١٠٤/١.
300- مجموع الفتاوى ٣٩٩/١٣.

وقال في موضع آخر: " فالنِّزَاع فيها من مسائل الاجتهاد، فمن قال: هي من القرآن حيث كتبت، أو قال: ليست هي من القرآن، إلاَّ في سورة النمل، كان قوله من الأقوال التي ساغ فيها الاجتهاد " (٣٠١).

وقال ابن السبكي: " وأمَّا كونها من أوائل السور، أو آية مستقلة، إلى غير ذلك فأمر اجتهادي"(٣٠٢).

ثم قال: " وذهاب القاضي أبي بكر، إلى أنها قطعية ضعيف. والإنصاف: أنها ظنية "(٣٠٣). وقال القرطبي: .. ." وهذا يدل على أن المسألة اجتهادية، لا قطعية، كما ظنه بعض الجهال، من المتفقهة، الذي

يلزم على قوله تكفير المسلمين، وليس كما ظن (٣٠٤). ولأصحاب هذا القول أدلة منها ما يلي:

أولا: أن الاجتهاد، إنَّمَا هو في تعيين موضع هذه الآية، من القرآن الكريم، وأنه مرة واحدة فقط، أو مرات، وهذا أمر سائغ.

ودليله: أن المثبت لم يكفر النافي، والنافي لم يكفر المثبت لها، بخلاف التعوذ، فمتى أنصفنا، وجدنا أنفسنا شاكين في مسألة البسملة، قاطعين في مسألة التعوذ، هذا ما ذكره كل من الغزالي والآمدي (٣٠٥).

وقال ابن السبكي: " أنا أدعو القاضي أبا بكر إلى المباهلة، هل قطعه بأن البسملة ليست من القرآن،

301- المرجع السابق ، نفس الجزء ص ٤١٨.
302- رفع الحاجب ٨٧/١.
303-المرجع السابق ، نفس الجزء ص٨٩.
(304) الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١.
(305) المستصفي ١٠٤/١ ، الإحكام ١٦٤/١.

كقطعه بأن التعوذ ليس من القرآن ؟ !ونحن نجل مقداره عن أن يدعي ذلك(٣٠٦). ويُمكن الجواب من قبل القاطعين بالنفي، كابن الحاجب: بأن عدم التكفير إنَّمَا هو لقوة الشبهة من الجانبين ؛ جانب النفاة وجانب المثبتين (٣٠٧) .

ثانيًا: وقوع الخلاف في قرآنيتها، في عصر الصحابة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ– ، حتى قال ابن عباس – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – عندما ترك بعض الصحابة قراءتها في أول السورة)) : سرق الشيطان من الناس آية من القرآن. (٣٠٨). ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، قوله ذلك، فدل هذا على أنها اجتهادية(٣٠٩).

وأُجيب عن هذ :بأنه استدلال ظني،ولايقوى على مقابلة القطعي،وهو :أنها لو كانت قرآنًا لتواترت(٣١٠) فإن قيل:فما الفصل في هذه المسألة،وقد اعترض كل فريق على أدلة خصمه ؟قلتُ :هذا دليل آخر،يرجح القول بأنها ظنية،فلو كانت قطعية،لما وصل الخلاف فيها إلى هذه المنْزلة ؛بخاصة إذا علمنا أن القطع، والظن ممَّا يختلف فيه الناس،بحسب ما يصل إليهم، من الأدلة، وبحسب قدرة كل منهم،على الاستدلال،فكون المسألة قطعية،أو ظنية،هو أمر إضافي،بحسب حال الناظر،المستدل، المعتقد، كما قال شيخ لإسلام ابن تيمية (٣١١).

وقال الإمام الرازي والذي عندي فيه أن النقل المتواتر ثابت، بأن بسم الله الرحمن الرحيم، كلام أنزله الله على محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وبأنه مثبت في

(306) رفع الحاجب ٢/٩٠.
(307) منتهى الوصول و الأمل ص٣٣.
(308) الأثر أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/٥٠ عن عمر بن ذر عن أبيه عن ابن عباس – رَضِيَ الله عَنْهُمَا –بلفظ: ((استرق الشيطان من أهل القرآن أعظم آية في القرآن بسم الله الرحمن الرحيم)) ثم قال: ((كذا كان في كتابي عن أبيه (أي ذر) عن ابن عباس، وهو منقطع)).
(309) المستصفي ١/١٠٤ ، و الإحكام ١/١٦٣.
(310) منتهى الوصول و الأمل ص ٣٣ ، و بيان المختصر ١/٤٦٦.
(311) مجموع الفتاوى ١٩/٢١١ بتصرف.

المصحف. ..إلاَّ أنه حصل فيها أحكام شرعية ؛ هي من خواص القرآن ؛ مثل: أنه هل يجوز للجنب قراءتها أم لا ؟ وهل يجوز للمحدث مسها أم لا؟ ومعلوم أن هذه الأحكام اجتهادية، فلما رجع حاصل قولنا: إن التسمية هل هي من القرآن ؟ إلى ثبوت هذه الأحكام، وعدمها، وثبت أن ثبوت هذه الأحكام، وعدمها أمور اجتهادية، ظهر أن البحث اجتهادي، لا قطعي، وسقط تهويل القاضي(٣١٢). فإن قلت: في كلام الرازي إثبات للأصول بالفروع. قلتُ: وإن سلم هذا فيحسن معضدًا لما سبق، والله أعلم

المطلب الثالث:

حكم قراءتها للجنب والحائض

للعلماء قولان في حكم قراءتهما لها، مبنيان على الخلاف في المسألة.

فعلى القول بأنها آية من القرآن الكريم ؛ وهو قول الأئمة الثلاثة ؛ أبي حنيفة والشافعي وأحمد: يجوز لهما قراءتها، إذا قصدا بها التبرك، باعتبارها بعض الأذكار، لا على أنها قرآن.

وأمَّا إن قصدا بها القرآن فلايجوز لهما تلاوتها.

وأمَّا على قول الإمام مالك: فيجوز لهما قراءتها مطلقًا ؛ أي سواء أقصدا بها الذكر أم لا. قال السرخسي: " وعلى هذا يكره للجنب والحائض، قراءة التسمية على قصد قراءة القرآن ؛ لأنّ من ضرورة كونها آية من القرآن، حرمة القراءة على الحائض والجنب (٣١٣). وقال نحوه البخاري في كشف الأسرار(٣١٤). وقال

(312) تفسير الرازي ٢٠١/١.
313- أصول السرخسي ٢٨١/١.
314 – كشف الأسرار ٢٣/١

الزركشي: "قال النووي – رَحِمَهُ اللهُ – إذا قال{خُذِالْكِتَابَ بقوة}{مريم:١٢} وهو جنب، وقصد غير القرآن جاز له ؛ وله أن يقول {سبحان الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَاكُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}{الزخرف ١٣}،: إذا قصد القرآن بهذه الآيات عصى، وإن قصد الذكر ولم يقصد شيئًا لم يعص "(٣١٥).

فإن قيل: كيف هذا مع قول الإمام الرازي: " اختلفوا في أنه هل يجوز للحائض والجنب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ والصحيح عندنا: أنه لايجوز "(٣١٦).

قلتُ: يُمكن أن يحمل كلامه هذا، على ما إذا قصد كل منهما بذلك القرآن، لا الذكر.

المطلب الرابع:

حكم مس المحدث لها

لقد سوى الإمام الرازي بين هذه المسألة والتي قبلها في الحكم، وكذلك العبادي،قاس هذه على تلك(٣١٧)، ومعنى هذا: أن الخلاف في حكم مسها للمحدث حدثًا أصغرا مبني على الخلاف في قرآنيتها، ويكون الكلام في هذه كالكلام في السابقة، وصورة هذه المسألة والله أعلم : أن توجد قطعة من المصحف مكتوب عليها فقط وليست من سورة النمل، أو تكتب بسم الله الرحمن الرحيم على ورقة الرحيم منفردة، فيحرم مسها للمحدث عند الأئمة الثلاثة؛ أبي حنيفة والشافعي وأحمد على قصد القرآن، لا الذكر، ولايحرم عند الإمام مالك مطلقًا.

315 – البرهان فى علوم القرآن ٤٨٢/١.
316 – تفسير الفخر الرازي ٢١٣/١.
317 – تفسير الفخر الرازي ٢٠١/١، و الآيات البينات ٣٩٨/١.

قال العبادي: " لكن قضية تمثيلهم بها لأذكار القرآن، التي تحل للجنب، لابقصد قرآن، وحرمتها عليه بقصد القرآن، كغيرها من القرآن، وقياس ذلك حرمة مسّها على المحدث(٣١٨).

المطلب الخامس:

الاعتداد بكمال السورة دونها.

هل يعتد بكمال السورة من القرآن الكريم، دون البسملة، أم لاتعتبر السورة تامة إلاَّ إذا تُليت معها البسملة ؟.

مثال ذلك: من نذر أن يقرأ سورة كاملة من القرآن، وترك قراءة البسملة، فهل يعتبر صنيعه وفاءً بنذره، أم لايعتبر حتى يقرأ البسملة، مع السورة ؟

قولان للعلماء مبنيان على الخلاف في مسألة البسملة.

فعلى قول الأئمة الثلاثة ؛ أبي حنيفة، وأحمد، ومالك، تعتبر السورة من القرآن الكريم تامة، دون تلاوة البسملة في أولها ؛ وذلك لأنها عند الإمامين ؛ أبي حنيفة وأحمد، ليست من السورة، بل آية مستقلة، وعند الإمام مالك، ليست من القرآن مطلقًا.

أمَّا عند الإمام الشافعي: فلاتعتبر السورة كاملة إلاَّ بالبسملة(٣١٩).

قال النووي: " لايكون قارئًا لسورة غيرها أي(الفاتحة) بكمالها إلاَّ إذا ابتدأها بالبسملة"(٣٢٠).

318- الآيات البينات، الموضع السابق.

319 - أحكام القرآن للجصاص ١٣/١، المجموع شرح المهذب ٣٣٣/٣، البحر المحيط ٤٧/١، و البرهان فى علوم القرآن ٤٦٠/١.

320 - المجموع، الموضع السابق.

المطلب السادس:

حكم البسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة:

أختلف الفقهاء على أقوال:

القول الأول: المشهور من مذهب الأحناف(٣٢١) ومذهب الحانبلة(٣٢٢): أن البسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة مستحبة وزاد أبو حنيفة(٣٢٣)يقرؤها سراً مع الفاتحة فى كل ركعات الصلاة ، وإن قرأها مع كل سورة فحسن.

الثانى: للشافعى وأصحابه(٣٢٤) وهم يرون أن قراءة البسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة.

الثالث: للإمام مالك وأكثر أصحابه(٣٢٥) وهم يرون منع قراءتها فى الصلاة المكتوبه جهراً كانت أو سراً ، ولا فى استفتاح أم القرآن ، ولا فى غيرها من السور ، وأجازوا قراءتها فى النافلة.

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بالسنة والمعقول: أما استدلالهم من السنة: فقد استدلوا أولاً:

بما رواه نعيم المجمر قال:"صليتُ وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن حتى إذا بلغ {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}

321- تحفة الفقهاء (١٢٨/٢) ، البحر الرائق (٢١٢/١) ، مجموع الأنهار (٩٠/١) ، مراقى الفلاح ص (٤٨) ، قوانين التشريع (٣١/٣) ، الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن ص (٢٥٢).

322 المقنع ص (٢٨) ، المغنى (٥٢٠/١) ، المحرر (٥٣/١) ، منتهى الإرادت (٩٠/١) ، كشاف القناع (٣٣٥/١) ، الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن ص (٢٥٢).

323- أحكام القرآن للجصاص (١٥/١) ، تفسير القرطبى (٩٦/١) ، زاد المسير (٧/١).

324- الأم (١٢٩/١) ، المهذب (٧٩/١) ، الوجيز (٤٢/١) ، المجموع (٣٣٣/٢) ، مغنى المحتاج (١٥٧/١).

325- المدونة الكبرى (٦٤/١) ، البيان والتحصيل (٣٦٥/١) ، بداية المجتهد (١٢٤/١) ، القوانين الفقهية ص (٦٥) ، الفواكه الدوانى (٢٠٥/١) ، حاشية العدوى (٢٨٨/١).

{الفاتحة – ٧} فقال الناس: آمين ، ويقول كلما سجد: الله أكبر ، وإذا قام من الجلوس فى الاثنين قال: الله أكبر ، وإذا سلم قال: والذى نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٣٢٦).

ووجه الاستدلال: بهذا الحديث أن أبا هريرة رضى الله عنه قرأ البسملة قبل الفاتحة فى الصلاة ، ثم أخبر أن صلاته هذه مشابهة لصلاة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهذا يدل على أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يُبسمل قبل الفاتحة فى الصلاة مما يدل على أنها مستحبة لذلك(٣٢٧).

ثانياً: استدلوا بما روته أم سلمة رضى الله عنها قالت:"كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا قرأ يقطع قراءته آية آية: بسم الله الرحمن الرحيم {الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم} {الفاتحة:٢_٣}(٣٢٨).

فوجه الدلاله منه: أن أم سلمة رضى الله عنها عندما أرادت وصف قراءة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أبتدأت الفاتحة بالبسملة ، وهذا يدل على أن النبى صَلَّى

326- رواه البيهقي فى كتاب الصلاة ، باب افتتاح القراءة فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها إذا جهر بالفاتحة (٤٦/٢) ، وبهذا اللفظ وقال:"هو اسناد صحيح ، وله شوهد" ، ورواه أيضا فى الكتاب السابق باب جهر الإمام بالتأمين (٥٨/٢) ، والدار قطنى فى كتاب الصلاة ، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم رقم (٢١) حديث (٩٠٥) (١٣٣/٢) ،والدار قطنى فى كتاب الصلاة باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها حديث (١٤) (٣٠٦/١) ، وقال:"هذا صحيح ورواته كلهم ثقات" ، وابن خزيمة فى كتاب الصلاة ، باب ذكر الدليل على أن الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والمخافتة به جميعا مباح رقم (١٠٠) ، حديث (٤٩٩) (٢٥١/١) ، والحاكم فى كتاب الصلاة (٢٣٢٨) ، وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى ، وقال عنه ابن حجر: "هو أصح حديث ورد فى ذلك" ، فتح البارى (٢٦٧/٢).

327- الأحكام الفقهية ص (٢٥٣).

328- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها ، حديث (٣٧) ،(٣١٣/١) ، وقال"اسناده صحيح وكلهم ثقات" والحاكم فى كتاب التفسير (٢٣٢/٢) وقال:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبى وابن خزيمة فى كتاب الصلاة ، باب ذكر الدليل على"بسم الله الرحمن الرحيم" آية من فاتحة الكتاب رقم (٩٧) حديث (٤٩٣) ، (٢٤٨/١_٢٤٩) ، وأحمد (٣٠٢/٦).

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يبتدئ بها الفاتحة ، وهو عام بدليل قولها:"قراءته" فيشمل الصلاة وغيرها، فيستحب ذلك(٣٢٩).

أمّا استدلالهم من المعقول فقد قالوا: إن بسم الله الرحمن الرحيم يستفتح بها سائر السور ، فالاستفتاح بها فى الفاتحة أولى ، لأنها أول القرآن وفاتحته(٣٣٠).

استدل أصحاب القول الثانى:على أن البسملة آية من الفاتحة فتجب قراءتها فى الصلاة كسائر آيات الفاتحة(٣٣١). ونوقش هذا الدليل بأن اعتبار البسملة آية من الفاتحة محل خلاف بين العلماء كما سبق فلا يصح الاحتاج به(٣٣٢).

واستدل أصحاب القول الثالث بالسنة والمعقول:

أمّا من السنة فقد استدلوا أولاً: بما رواه أنس مالك رضى الله عنه:"أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون الصلاة بـــ {الحمد لله رب العالمين} {الفاتحة:٢} (٣٣٣).

فوجه الدلالة منه أن أنساً رضى الله عنه أخبر أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم و أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بأول آيات الفاتحة وهى (الحمد لله رب العالمين) وهذا يدل على أنهم لم يكونوا يقرؤون البسملة قبلها ، مما يدل على عدم مشروعية قراءتها فىصلاة الفرض.

ثانياً: استدلوا بما رواه يزيد بن عبدالله بن مغفل قال: (سمعنى أبى وأنا فى الصلاة أقول: بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال لى: أى بنى محدث؟ إياك والحدث ،

329- الأحكام الفقهية فى القرآن ص (٢٥٣).
330- المغنى (٥٢١/١).
331- المهذب (٧٩/١).
332- الأحكام الفقهية ص (٢٥٣).
333- رواه البخارى فى كتاب الأذان ، باب ما يقول بعد التكبير (١٨١/١) ، ومسلم فى كتاب الصلاة ، باب صحة من قال: لا يجهر بالبسملة رقم (١٣) حديث (٥٢) ، (٢٩٩/١) بلفظ قريب من هذا.

قال لم أر أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان أبغض إليه الحدث فى الإسلام ، يعنى منه ، وقال: وقد صليت مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومع أبى بكر وعمر وعثمان فلم اسمع أحداً منهم يقولها فلا تقولها ، وإذا أنت صليت فقل {الحمد لله رب العالمين} {الفاتحة:٢}(٣٣٤).

فوجه الدلالة: أن عبد الله بن مغفل أنكر على ابنه قراءة البسملة فى الصلاة ونهاه عن ذلك وأخبره أنه أمر مُحدَث لم يفعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وهذا يدل على عدم مشروعية قراءتها فى الصلاة.

ويمكن مناقشة هذا الدليل والاستدلال به من وجوه:

الأول: أن من العلماء من حسن هذا الحديث ومنهم من ضعفه حيث حسنه الترمذى وابن ماجة(٣٣٥).

وضعفه كما قال الساعاتى:(وضعفه الخطيب وغيره وسبب تضعيفهم هذا الحديث هو جهالة ابن عبدالله بن مغفل والمجهول لا تقوم به صحة، وقال أبو الفتح البعميرى: وليس فى رواة هذا الخبر من يتهم بالكذب فهو جار على رسم الحسن عنده (يعنى الترمذي) وأما تعليله بجهالة المذكور فما أراه يخرجه عن رسم الحسن عند الترمذى ولا غيره)(٣٣٦).

334- مسند أحمد (٤/٨٥).
335- الترمذى فى أبواب الصلاة ، باب ماجاء فى ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، رقم (١٨٠) ، حديث (٢٤٤) ، (١/١٥٤) وقال:"حديث عبدالله بن مغفل حديث حسن". وابن ماجة فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب افتتاح القراءة رقم (٤) حديث (٨١٥) ، (١/٢٦٧).
336- بلوغ الامانى (٣/١٨٨).

إذا فالحديث مُتنَازع فى حسنه وضعفه فترك الاستدلال به أولى لأنه تطرق له الاحتمال والدليل إذا تطرق له الاحتمال سقط به الاستدلال.

الثانى: أنه على فرض أنه حسن إلا أنه لا حُجة فيه لأن غاية ما دل عليه أن عبد الله بن مغفل أُخبر بما علم، وغيره من الصحابة أثبت قراءتها والمُثبت مُقدّم على النافي(٣٣٧).

الثالث: وهذان الدليلان ناقشهما ابن قُدامة بأنهما محمولان على أنهم كانا يُسِرون بها فلا تُسمع منهم(٣٣٨).

أمّا دليلهم من المعقول: فقالوا إن البسملة ليست بآية من القرآن إلا فى سورة النمل ، فتكره القراءة بها فى الصلاة(٣٣٩).

ويمكن مناقشة هذا الدليل من وجهين: –

الأول: أن مسألة البسملة آية من أول كل سورة أم لا مسألة متنازع فيه،والمتنازع فيه لايصلح الاستدلال به.

الثانى: لانسلم بأن البسملة ليست آية من أول كل سورة لأن الدليل قام علي أنها آية من أول الفاتحة و جزء آية من أول كل سورة سوى براءة.

الترجيح: وأرجح هذه الأقوال عندى أن قراءتها فى أول الفاتحة واجب لقيام الحجة على أنها آية من الفاتحة، و أن قراتها فيما عدا الفاتحة فى أول كل سورة فى الصلاة مندوب شأنها شأن أى آية من آية السورة سوى براءة، وهذ القول فيه جمع

337- بلوغ الأمانى من اسرار الفتح الرباني (١٩٠/٣).
338- المغني (٥٢/١).
339- حاشية الدسوقي (٢٥١/١).

بين المذاهب كلها و خروجاً من الخلاف و لقيام الدليل الصحيح على انها جزء آية من كل سورة بعد الفاتحة سوى براءة.

المطلب السابع:

حكم الجهر بها فى الصلاة الجهرية.

وهذه المسألة اختلف الفقهاء فيها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الحنفية(٣٤٠)، والمالكية(٣٤١)، والإمام أحمد فى الرواية المشهورة عنه وبها أخذ بعض أصحابه(٣٤٢) وهو أن الجهر بالبسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية مكروه.

القول الثانى: وبه قال الشافعية(٣٤٣)، والإمام أحمد فى رواية عنه(٣٤٤) وهو أن الجهر بالبسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية مُستحب.

القول الثالث: وبه قال الإمام أحمد فى رواية عنه(٣٤٥) وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية(٣٤٦).

هو أن الاسرار بالبسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية مُستحب إلا فى بعض الأحيان إذا وُجد مصلحة راجحة ؛ فيُستحب الجهر.

340- الحجة على أهل المدينة ١(/٥٦)، فتاوى النوازل ص (٤١)، المبسوط (١٥/١)، تحفة الفقهاء(١٢٨/٢)، بدائع الصنائع(٢٠٤/١)، البحر الرائق (٣١٢/١)، اللباب (٧١/١).
341- القوانين الفقهية ص(٦٥)، مواهب الجليل (٥٤٤/١)، حاشية الدسوقي (٢٥١/١).
342- الكافى (١٣٠/١)، المغنى (٥٢١/١)، المحرر (٣٥/١)، الفروع(٤٣١/١)،المبدع (٤٣٥/١).
343- الأم (١٢٩/١)، المهذب (٧٩/١)، المجموع (٣٤١/٣) وما بعدها، روضة الطالبين (٢٤٢/١)، مغنى المحتاج (١٥٧/١)، نهاية المحتاج (٤٧٨/١).
344- الفروع (٤١٣/١)، المبدع (٤٣٦/١)، الإنصاف (٤٩/٢).
345- مجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٢)، الفروع (٤١٣/١)، المبدع (٤٣٦/١)، الإنصاف (٤٩/٢).
346- مجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٢)، الإختيارات الفقهية ص (٥١).

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بالسنة والمعقول:

أما من السنة فقد استدلوا:

أولاً: بما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه:"أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـــ(الحمد لله رب العالمين)(٣٤٧).

وفى رواية:"لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول القراءة ولا فى آخرها(٣٤٨).

وفى رواية أخرى:"لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم"(٣٤٩).

وفى رواية أخرى أيضاً:"كانوا يسرون....."الحديث(٣٥٠).

وهذا الحديث واضح الدلالة.

ثانياً:استدلوا بما روته عائشة رضى الله عنها قالت:"كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بـــ(الحمد لله رب العالمين) (٣٥١).

فوجه الاستدلال:أن عائشة رضى الله عنها أخبرت أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يفتتح الصلاة بعد التكبير باول آية من الفاتحة (الحمد لله رب العالمين) وهذا يدل على أنه كان يُسرُ بالبسملة.

347- سبق تخريج الحديث فى رأى أصحاب القول الاول بأن البسملة لقراءة الفاتحة مُستحبة.

348- رواه مسلم فى كتاب الصلاة، باب صحة من قال:لا يجهر بالبسملة رقم (١٣).

349- رواه النسائى فى كتاب الصلاة باب ترك الجهر" ببسم الله الرحمن الرحيم" رقم (٢٢) حديث (٩٠٦)، (٣٥/٢)، وابن حزيمة فى كتاب الكتاب، باب ذكر الدليل على أن أنسا إنما بقوله:لم اسمع أحدا منهم يقرأ" بسم الله الرحمن الرحيم" أى لم اسمع أحدا منهم يقرأ جهرا من رقم (٩٩)، أحاديث (٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧)، (٢٤٩/١، ٢٥٠)، وأحمد (١٧٩/٢، ٢٤٦، ٢٧٥)، وقال الساعاتى:"اسناد على شرط الصحيح". بلوغ الأمانى (١٨٦/٣).

350- رواه ابن حزيمة فى الكتاب والباب السابقين حديث (٤٩٨)، (٢٥٠/١).

351- رواه مسلم فى كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به وما يختم به وصفة الركوع والإعتدال منه السجود رقم (٢٤٠)، (٣٥٧/١).

مناقشة هذين الدليلين: ناقشهما النووى نقلاً عن بعض العلماء بخمسة وجوه(٣٥٢):

الوجه الأول: ما ذكره ابن عبد البر من أنه لا يصح الاحتجاج به، لاضطرابه واختلاف ألفاظه مع تغاير معانيها، فقد اختلفت ألفاظه اختلافاً متدافعاً،فمنهم من يقول:"كانوا لا يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم" ومنهم من يقول:"كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم"، ومنهم من يقول:"كانوا لا يتركون بسم الله الرحمن الرحيم"، ومنهم من يقول:"كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين" وهذ اضطراب لا تقوم معه حجة لأحد من الفقهاء،وقد روى عن أنس رضى الله عنه أنه سُئِلَ عن هذا الحديث فقال"كبرنا ونسينا"(٣٥٣).

يمكن الإجابة عنه بأن اختلاف الروايات فى هذا الحديث لا تؤثر فى صحة الاحتجاج به، لأنه لا تناقض ولا تعارض بينها فكلها تدل على مشروعية البسملة سراً لقراءة الفاتحة فى الصلاة.

أما قول أنس:"كبرنا ونسينا" فلا تؤثر فى الاحتجاج به،لأن روايته له قبل ذلك بدليل سؤاله عنه والنسيان فى الكبر أمر طبيعى يحصل لكل إنسان ولا يؤثر فى روايته قبل ذلك(٣٥٤).

الوجه الثانى: ترجيح بعض ألفاظ هذه الروايات على بعض ورد المُختلف على باقيها، فلا يوجد الرجحان إلا للرواية التى على لفظ حديث عائشة "إنهم كانوا يفتتحون بالحمد لله" أى السورة، لأن الرواة على هذا اللفظ، لما روى بلفظ:"أم

352- المجموع للنووى (٣/٣٥٤،٣٥٣).
353- التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد لابن عبد البر(٢/٣٣٠).
354- الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم ص (٢٥٧).

القرآن"(٣٥٥). فكأنَّ أنساً رضى الله عنه أخرج هذا الكلام مُستدلاً على من يُجوز قراءة غير الفاتحة، أو يبدأ بغيرها، ثم افترق الرواة عنه فكلٌ عبر بما فَهِم(٣٥٦).

و يمكن الإجابة عنه من طريقين:

الطريق الاول:أن هذه الروايات لا تعارض بينها حتى يلجأ إلى الترجيح بل إن بعضها يفسر بعضاً ويُبينه، فرواية "كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم" تفسر غيرها من الروايات، فتبين معنى "كانوا لا يقرؤون. ..." لا يقرؤون جهراً، و"لا يتركون....." لا يتركونها سراً و"كانوا يفتتحون القراءة بـ{الحمد لله رب العالمين} { الفاتحة: ٢}وأنهم يسرون بالبسملة، فيكون أول ما يجهرون به الحمد.

الطريق الثانى:على تقدير التسليم بالترجيح وترجيح الرواية التى على حديث عائشة فلا يُسلَّم ان المُراد السورة بل المُراد أول ما يجهرون به الحمد،وهذا يدل على أنهم يُسرون بالبسملة، أما القول بأن أنساً أخرج هذا الكلام للاستدلال به على من يُجوز قراءة غير الفاتحة أو يبدأ بغيرها فهو احتمال ضعيف، لأن أدلة وجوب تعين الفاتحة واضحة كثيرة، والبدء بها فى الصلاة معروف لدى الجميع يعرفه العام والخاص فيُبعد أن يُسأل عنه أنس حتى يُستدل له(٣٥٧).

الوجه الثالث: ليس فى الروايات ما يُنافى أحاديث الجهر الصحيحة، وأما الرواية المُتفق عليها فظاهرة، وأما قوله:"لا يجهرون" فالمراد به نفى الجهر الشديد الذى نهى الله تعالى عنه بقوله:{ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً} {الاسراء: ١١٠} فنفى الجهر الشديد بدليل أنه هو قد روى الجهر فى حديث

355- رواه الترمذى فى كتاب الصلاة، باب ذكر اختلاف الرواية فى الجهر" ببسم الله الرحمن الرحيم" حديث (٩)، (٣١٦/١).
356- المجموع (٣٥٢/٣، ٣٥٣).
(357) الأحكام الفقهية فى القرآن الكريم ص (٢٥٨).

آخر، وأما رواية من روى "يسرون" فلم يُرد حقيقة الاسرار وإنما أراد التوسط الذى هو بالنسبة إلى الجهر المنهى عنه كل الاسرار(٣٥٨).

ويمكن الإجابة عنه بعد التسليم بعدم منافاة هذه الروايات لأحاديث الجهر، فأما الرواية المُتفق عليها فالمراد بها أن أول ما يجهرون به القراءة بالحمد، وهذا يدل على أنهم يُسرون بالبسملة، أما رواية "لا يجهرون" فهى عامة تشمل الجهر الخفيف الشديد، وأما رواية "يُسرون" فهى صريحة فـــى الاسرار الذى هو ضد الجهر، وحَملها على التوسط يحتاج إلى دليل ولا دليل فيما اطلعت عليه(٣٥٩).

الوجه الرابع: أنهم كانوا يُسرون بالبسملة دون تركها وقد ثبت الجهر بها بالاحاديث الأتية عن أنس، وكأن أنساً بالغ فى الرد على من أنكر الاسرار بها فقال:صليت خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وخلفائه فرأيتهم يُسرون بها، أى وقع منهم ذلك مرة أو مرات، ولم يرد الدوام بدليل ما ثبت من الجهر، فتكون أحاديث أنس قد دلت على جواز الأمرين ووقوعهما من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولهذا اختلف افعال أهل الصدرالأول(٣٦٠).

و يمكن مناقشته بعدم التسليم بأن الاسرار وقع مرة أو مرات بل اسرارهم بها أكثر من الجهر كما دلت عليه أدلة أصحاب القول الأول.

الوجه الخامس:أن أنساً رضى الله عنه قد ذكر هذه الألفاظ فى مجالس متعددة بحسب الحاجة فى الاستدلال والبيان(٣٦١).

(358) المجموع للنووى ص (٣/٣٥٣).
(359) الأحكام الفقهية ص (٢٥١).
360 المجموع (٣/٢٣٣، ٣٥٤).
361 المرجع السابق.

الدليل الثالث من أدلة القائلين بأن الجهر بالبسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية مكروه: ما رواه يزيد بن عبد الله بن مغفل قال:"سمعنى أبى وأنا فى الصلاة أقول:بسم الله الرحمن الرحيم، فقال لى:أى بنى محدث؟إياك والحدث.....'(٣٦٢). وهذا الحديث واضح الدلالة.

مناقشة هذا الدليل:ناقشه النووى من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:أنه حديث ضعيف لأن يزيد بن عبد الله بن مغفل مجهول كما ذكر الخطيب وابن عبد البر وابن حزيمه(٣٦٣).

الإجابة عن هذا الوجه: أجاب عنه الزيلعى من طريقين:

الطريق الأول:أن الإمام أحمد قد رواه من حديث أبى نعامة عن ابن عبدالله بن مغفل، وكذلك الطبرانى عن عبدالله بن بريدة عن عبدالله بن مغفل، وكذلك أخرجه عن أبى سفيان عن طريق ابن شهاب عن يزيد بن عبد الله بن مغفل، فهؤلاء الثلاثة رووا هذا الحديث عن ابن عبد الله بن مغفل وهم: أبو نعامة الحنفى وقد وثقه ابن معين وغيره، وعبد الله بن بريدة وهو أشهر من يُثنى عليه، وأبو سفيان السعدى، وهو وإن تكلم فيه ولكنه يعتبربما تابعه عليه من الثقات، وبهذا ترتفع الجهالة عن إبن عبد الله بن مغفل برواية هؤلاء الثلاثة عنه.

الطريق الثانى: أن الذين تكلموا فى هذا الحديث وتركوا الإحتجاج به لجهالة يزيد بن عبد الله بن مغفل قد احتجوا فى هذه المسألة بما هو أضعف منه بل احتج بعضهم بما هو موضوع(٣٦٤).

362- الحديث سبق تخريجه فى المطلب السابق فى أدلة المالكية.
363- بلوغ الأماني ١٨٨/٣
364- نصب الراية (١٢٣/١_٣٣٢).

الوجه الثانى: على تقدير صحة هذا الحديث فقد تأوله أبو الفتح الرازى بأنه كان فى صلاة سرية، لإن بعض الناس قد يرفع صوته بالقراءة بالبسملة وغيرها رفعاً يُسمع من بعد، فنهاه أبوه(٣٦٥).

مناقشة هذا الوجه: يمكن مناقشته بإنه تأويل ضعيف مُخالف لظاهر الحديث، فظاهره يدل على أن ذلك كان فى صلاة جهرية بدليل أن عبد الله بن مغفل ذكر أنه لم يسمع البسملة من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم دون الفاتحة، وأنه نهى إبنه عن البسملة خاصة، ثم أمره بالجهر بالحمد حيث قال:"فلا نقلها، إذا أنت صليت فقل:{الحمد لله رب العالمين} {الفاتحة – ٢} ولو كان فى صلاة سرية لنهاه عن الجهر بالبسملة وغيرها، ولما خص نفى السماع بها، لأنهم كانوا يسرون فى السرية بالبسملة وغيرها.

الوجه الثالث:أنه على تقدير صحة هذا الحديث فإنه يُجاب عنه بما ذكره الخطيب من أنه لا يؤثر فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة فى الجهر لأن عبد الله بن مغفل من أحدث أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأبا هريرة من شيوخهم، وقد صح أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يقول لأصحابه:"ليلينى أولوا الأحلام والنهى"(٣٦٦).

فكان أبو هريرة يقرب من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعبد الله بن مغفل يبعد لحداثة سنه، ومن المعلوم أن القارئ يرفع صوته فى أثناء القراءة أكثر من أولها، فلم يحفظ عبد الله الجهر لبعده وحفظ أبو هريرة لقربه وشدة إعتنائه(٣٦٧).

365- المجموع (٣/٣٥٥).
366- رواه مسلم فى كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والإزدحام على الصف الأول، رقم (٢٨)، الحديثان (١٢٢، ١٢٣) (١/٣٢٣).
367- المجموع (٣/٣٥٥).

و يجاب عنه من ثلاث طرق:

الطريق الأول: أن مسجد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يكن فى ذلك الوقت كبيراً بحيث لا يسمع البعيد فيه قراءة الإمام إذا جهر.

الطريق الثانى: أن القول بأن القارئ يرفع صوته حال الجهر فى أثناء القراءة أكثر من أولها غير مطرد، بل وقد يحدث العكس، كما أنه لو كان الأمر كذلك لم يسمع عبد الله بن مغفل الآيات الأول من الفاتحة، لأنها من أول القراءة ولكن الظاهر من قوله:"فلم اسمع أحداً منهم يقولها" السماع لذلك.

الطريق الثالث: أنه لم يقصر عدم السماع على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بل ذكر ذلك أيضاً عن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ومعلوم أن سنتهم سنة يُؤخذ بها كسنة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وأنهم كانوا من شيوخ الصحابة فكانوا يقتربون من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فى الصلاة، فلو كان يسمعونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يجهر بها لجهروا(٣٦٨).

ثانياً: استدلوا من المعقول:

أن البسملة متى تردد الأمر بين أن تكون من الفاتحة وألا تكون منها تردد الجهر بها بين السنة والبدعة، لأنها إذا لم تكن منهاالتحقت بالأذكار، والجهر بالأذكار بدعة، والفعل إذا تردد بين السنة تُغَلّب جهة البدعة، لأن الامتناع عن البدعة فرض، ولا فرضية فى تحصيل الواجب فكان الاسرار بها أولى(٣٦٩).

مناقشة هذا الدليل: يمكن مناقشته بعدم التسليم بأن الجهر بالأذكار بدعة مُطلقاً، بل ما ورد لا يُعد بدعة ومنه البسملة.

368- الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن ص (٢٦٢).
369- بدائع الصنائع (٢٠٤/١).

أدلة أصحاب القول الثانى:

استدل أصحاب القول الثانى القائلين بأن الجهر بالبسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية مستحب. استدالوا بأدلة من السنة وآخرى من أقوال الصحابة.

أما أدلتهم من السنة فقد استدلوا:

أولاً:بما رواه نعيم المجمر قال: صليتُ وراء أبى هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأم القرآن حتى إذا بلغ{غير المغضوب عليهم ولا الضالين} {الفاتحة: ٧} قال: آمين فقال الناس: آمين، ويقول كلما سجد: الله أكبر، وإذا قام من الجلوس فى الاثنين قال: الله أكبر، وإذا سلم قال: والذى نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٣٧٠).

فوجه الاستدلال من هذا الحديث بأن أبا هريرة رضى الله عنه جهر بالبسملة فى الصلاة ثم أقسم أن صلاته مشبهة لصلاة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهذا يدل على أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يجهر بها، مما يدل على استحبابه.

مناقشه هذا الدليل: ناقشه العينى من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: أنه حديث معلول،لأن ذكر البسملة فيه مما تفرد به نعيم المجمر من بين أصحاب أبى هريرة، ولا يثبت عن ثقة من أصحاب أبى هريرة أنه حَدّث عن أبى هريرة أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يجهر بالبسملة فى الصلاة.

و يمكن الإجابه عنه بأنه قد صححه إبن حجر والحاكم والدارقطنى كما سبق فى تخريجه.

370- سبق تخريجه فى المطلب السابق فى أدلة القول الاول.

الوجه الثانى: أن قوله:(فقرأ) أو(قال) ليس صريحاً فى سماعها منه إذ يحتمل أن يكون أبو هريرة أخبر نعيماً بأنه قرأها سراً، ويحتمل ان يكون سمعها منه فى اسراره، [illegible] منه كما روى عنه من ألفاظ من أنواع الاستفتاح وألفاظ الذكر فى قيامه وقعوده وركوعه وسجوده ولم يكن ذلك دليلاً على الجهر.

الوجه الثالث: أن التشبيه لا يقتضى أن يكون مثله فى كل شئ بل يكفى فى ذلك مشابهته فى الغالب وذلك حاصل فى التكبير والركوع والسجود وغيرها دون البسملة، فإن التكبير وغيره من أفعال الصلاة ثابت عن أبى هريرة وكان مقصوده الرد على من تركه، وأما البسملة ففى صحتها عنه نظر، فينصرف إلى الصحيح الثابت دون غيره(٣٧١).

ثانياً: ما يُستنبط مما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: فى كل صلاة قراءة قال أبو هريرة:"فما اسمعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم اسمعناكم وما أخفى منا أخفيناه منكم"(٣٧٢). وفى رواية:يقرأ(٣٧٣). وفى أخرى:لا صلاة إلا بقراءة(٣٧٤).

قال أبو هريرة:"فما أعلن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أعلناه وما أخفاه أخفيناه لكم"(٣٧٥).

371- عمدة القارى (٢٨٥/٥).
372- رواه البخارى فى كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم فى الصلوات كلها فى الحضر والسفر وما يجهر فيه وما يُخافت (١٨٤/١). ومسلم فى كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، وأنه لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها رقم(١) أحاديث (٣٦،٣٥،٣٤)، ((٣٩٥/١) بألفاظ متقاربة.
373- رواه البخارى فى كتاب الأذان، باب القراءة الفجر (١٨٧/١)، ومسلم فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، الحديثان رقم (١١)، حديث (٤٣، ٤٤)، (٢٩٧/١).
374- رواه مسلم فى الكتاب والباب السابقين حديث (٤٢)، (٢٩٧/١).
375- رواه مسلم فى كتاب الأذان، كتاب الصلاة حديث (٤٢)، (٢٩٧/١).

فهذه الألفاظ بعضها فى الصحيحين، وبعضها فى أحدهما ومعناه يجهر بما جهر بة ويسر بما اسر به، ثم قد ثبت عن أبى هريرة أنه كان يجهر فى صلاته بالبسملة، فدل ذلك على أنه سمع الجهر بها من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم(٣٧٦).

مناقشة هذا الدليل: ناقشه ابن قدامة بأنه ليس فيه ما يدل على أنه جهر بالبسملة ، فدل ذلك على أنه سمع الجهر بها من الرسول صلى الله عليه وسلم(٣٧٧).

مناقشة هذا الدليل: ناقشه ابن قدامة بأنه ليس فيه ما يدل على أنه جهر بالبسملة ، كما أنه لا يمتنع أن يسمع منه حال الاسرار كما سمع الاستفتاح والاستعادة من النبى صلى الله عليه وسلم مع الاسرار بهما وقد روى أبو قتادة: " أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يسمعهم الآيه أحيانا فى صلاة الظهر"(٣٧٨)(٣٧٩).

ثالثاً: ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان إذا قرأ و هو يؤم افتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم، قال أبو هريرة: هى آيه من كتاب الله، اقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب فإنها الآية السابعة.

وفى رواية: أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان إذا أم الناس قرأ بسم الله الرحمن الرحيم(٣٨٠).

وهذا الحديث واضح الدلالة.

376- سبق تخريجه فى الدليل الثانى لأصحاب القول الثانى.

377- المجموع (٣٤٤/٣)

378-رواه مسلم كتاب الصلاة، باب القراءة فى الظهر و العصر الحديثان (١٥٥،١٥٤) (٣٣٣/١) بلفظ قريب من هذا

379- المغنى (٥٢٢/١)

380- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها، حديث (١٧)، (٣٠٦/١)، والبيهقى فى الصلاة، باب افتتاح القراءة فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها إذا جهر بالفاتحه (٤٦،٤٧/٢)

يمكن مناقشة هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: ناقشه الزيلعى والعينى بأنه فى سنده أبا أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس وقد ضعفه

أحمد وابن معين وأبو حاتم فلا يحتج بما انفرد به فكيف إذا انفرد بشىء قد خالفه فيه وهو أوثق منه(٣٨١).

الوجه الثانى: ويمكن مناقشته بأنه ليس فيه دلالة صريحة على الجهر بها(٣٨٢).

رابعاً: ما رواته أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

إذا قرأ يقطع قراءته آية آية: { بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين } {الفاتحة:١_٢}.

فوجه الاستدلال: أن أم سلمة رضى الله عنها و صفت قراءة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بأنه يقطعها آية آية وابتدأت الفاتحة بالبسملة وهذا يدل على أنه كان يجهر بها، لأنه لو كان يسر لما علمت بذلك ومن ثم لم تخبر عنه.

مناقشة هذا الدليل: ناقشه الجصاص من وجوه:

الأول: أن غاية مافيه نعت قراءة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وليس فيه ذكر قراءتها فى الصلاة.

381- نصب الرآيه (٣٤١/١)، عمدة القارى (٢٨٦/٥).

382- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة " بسم الله الرحمن الرحيم " فى الصلاة والجهر بها، حديث (٣٧)، (٣١٣/١)، وقال " اسناده صحيح وكلهم ثقات ولم يخرجاه " ووافقه الذهبى، وابن خزيمه فى كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على " بسم الله الرحمن الرحيم " آيه من فاتحة الكتاب رقم (٩٧) حديث (٤٩٣)، (٢٤٨،٢٤٩/١)، وأحمد (٣٠٢/٦)

الثانى: أنه لا دلالة فيه على جهر او إخفاء لأن أكثر ما فيه أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قرأها، ونحن نقول بذلك أيضا إلا أنه لا يجهر بها.

الثالث: أنه يحتمل أن يكون النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخبرها بكيفية قراءته فأخبرت هى بذلك، ويحتمل أن تكون سمعته يقرأ بها سراً لقربها منه ويدل على ذلك أنها ذكرت أنه كان يصلى فى بيتها النافله(٣٨٣).

خامساً:ما رواه عبد لله بن عباس رضى الله عنهما قال: " كان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يجهر فى الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم "(٣٨٤).

ومناقشة هذا الدليل: ناقشه العينى بأنه ضعيف السند، لأن فى سنده أبا الصلت، وهو ضعيف، قال عنه أبو حاتم ليس عندى بصدوق، وقال الدارقطنى: رافضى خبيث(٣٨٥).

سادساً: مارواه عبدالله بن عباس رضى الله عنه_أيضاً_قال:"كان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يفتتح صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم"(٣٨٦).

ويمكن توجيه الاستدلال من هذا الحديث بأن ابن عباس رضى الله عنهما أخبر أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يفتتح الصلاة بالبسملة ، وهذا يدل على أنه كان يجهر بها وإلا لما علم ابن عباس بذلك ، ومن ثم لم يخبر به.

يمكن مناقشة هذا الدليل من وجهين:

383- أحكام القرآن للجصاص (١٦/١، ١٧).

384- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها حديث (٦)، (٣٠٣/١)

385- عمدة القارى (٢٨٧/٥)، وينظر تقريب التهذيب (٥٠٦/١).

386- رواه الترمذى فى أبواب الصلاة ، باب من رأى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم رقم (١٨١) ، حديث (٢٤٥) ، (١٥٥/١) ، والدارقطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرجيم فى الصلاة والجهر بها ، حديث (٨) ، (٣٠٤/١) ، والبيهقى فى كتاب الصلاة ، باب افتتاح القراءة فى الصلاة ببسم الله الرحمن والجهر بها إذا جهر الفاتحة (٤٧/٢).

الوجه الأول: أنه ليس صريحاً فى الدلالة على الجهر بها.

الوجه الثانى: أنه ضعيف من حيث السند ، حيث قال الترمذى بعد روايته له:"وليس اسناده بذاك"(٣٨٧).

سابعاً: مارواه أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة جهر فيها بالقراءة فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم " لأم القرآن ولم يقرأها للسورة التى بعدها ، ولم يكبر حين يهوى حتى قضى تلك الصلاة ، فلما سلَّمَ ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان: يامعاوية اسرقت الصلاة أم نسيت؟ قال: فلم يصل بعد ذلك إلا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن وللسورة التى بعدها ،

وكبر حين يهوى ساجداً(٣٨٨).

ويمكن الاستدلال بهذا الحديث بأن الصحابة رضى الله عنهم أنكروا على معاوية ترك الجهر بالبسملة ، ولم يرد عليهم بعدم مشروعيته بل استجاب لقولهم فجهر بها بعد ذلك وداوم عليه وهذا يدل على استحباب الجهر بها.

وقد نوقش هذا الدليل من ثمانية وجوه:

الوجه الأول:ناقشه الجصاص بأن الجهر بالبسملة لو كان معروفاً عند المهاجرين والأنصار لعرفه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابن مغفل رضى الله عنه وغيرهم ممن روى الاسرار ، لأن هؤلاء أولى بعلمه ، لقوله صلَّى

387 سنن الترمذى (١٥٥/١).

388- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها ، حديث (٣١١/٣٣) ، وقال:"كلهم ثقات" والحاكم فى كتاب الصلاة (٢٣٣/١) بلفظ قريب من هذا ، وقال:"هذا حديث صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبى.

اللَّه عليه وسَلَّم " ليلينى منكم أولو الأحلام والنهى"(٣٨٩) وكان هؤلاء أقرب إليه فى حال الصلاة من غيرهم(٣٩٠).

الوجه الثانى: ناقشه شيخ الاسلام ابن تيمية والزيلعى والعينى بأن مداره على عبدالله بن عثمان بن خيثم وهو وإن كان من رجال مسلم إلا أنه متكلم فيه فقد اسند ابن عدى إلى ابن معين أنه قال: أحاديثه غير قوية ، وقال النسائى: لين الحديث ليس بالقوى فيه ، وقال الدارقطنى: ضعيف لينوه ، وقال ابن المدينى: منكر الحديث ، وبالجملة فهو مختلف فيه ، فلا يقبل ما تفرد به(٣٩١)

الوجه الثالث: ناقشة الجصاص _أيضاً_ بأنه ليس فيه ذكر الجهر وإنما فيه أنه لم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ونحن أيضاً ننكر ترك قراءتها ، وإنما الكلام فى الجهر والإخفاء أيهما أولى(٣٩٢).

الوجه الرابع: ناقشة شيخ الاسلام ابن تيمية والزيلعى بأنه مضطرب الاسناد والمتن ، فأما الاضطراب فى السند فإن ابن خثيم تارة يرويه عن أبى بكر بن حفص عن أنس ، وتارة يرويه عن اسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه ، فمن العلماء من يرجح هذه ، ومنهم من يرجح هذه.

وأما الاضطراب فى المتن فتارة يقول:"صلى فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسور التى بعدها" وتارة يقول:"فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حين افتتح القرآن وقرأ بأم القرآن"(٣٩٣).

389- رواه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها والأزدحام على الصف لأول ، رقم (٢٨) ، الحديثان (١٢٢_١٢٣) ، (٣٢٣/١).
390- أحكام القرآن للجصاص (١٧/١).
391- مجموع الفتاوى (٤٣٠/٢٢_٤٣١) ، نصب الرايه (٣٤٣/١) ، عمدة القارى (٢٨٩/٥).
392- أحكام القرآن للجصاص (١٧/١).

وتارة يقول:"فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم لقرآن ، ولا للسورة التى بعدها"(٣٩٤).

ومثل هذا الاضطراب فى السند والمتن مما يوجب ضعف الحديث ، لأنه مشعر بعدم ضبطه(٣٩٥).

الوجه الخامس: وناقشه شيخ الاسلام ابن تيمة والزيلعى_أيضاً_بأن من شروط الحديث الثابت أن لا يكون شاذاً ولا معللاً ، وهذا الحديث شاذ ومعلل ، لأنه مخالف لما رواه الثقات الأثبات عن أنس ، وكيف يروى أنس مثل هذا الحديث محتجاً به وهو مخالف لما رواه عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعن خلفائه الراشدين ، ولم يعرف عن أحد من أصحاب أنس المعروفين بصحبته أنه نقل عنه مثل ذلك(٣٩٦).

الوجه السادس: ناقشه شيخ الاسلام ابن تيمة والزيلعى _أيضاً_ بأن أنساً كان مقيماً بالبصرة ، ومعاوية لما قدم المدينة لم يذكر أحد ممن علمناه أن أنساً كان معه ، بل الظاهر أنه لم يكن معه(٣٩٧).

الوجه السابع: وناقشه شيخ الاسلام ابن تيمة والزيلعى _أيضاً_ بأن مذهب أهل المدينة قديماً وحديثاً عدم الجهر بالبسملة ، ومنهم من لم يرى قراءتها أصلاً ،

393- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم والجهر بها ، حديث (٢٤) ، (٣١١/١).
394- رواه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب صحة من قال لا يجهر بالبسملة ، رقم (١٣) حديث
395- مجموع الفتاوى (٤٣١/٢٢) ، نصب الراية (٣٥٣/١_٣٥٤).
396- المرجعان السابقان.
397- المرجعان السابقان (٤٣١/٢٢) ، (٤٣٢) ، (٣٥٤/١).

ولا يُحفظ عن أحدٍ من أهل المدينة باسنادٍ صحيح أنه كان يجهر بها إلا شئ يسير وله محمل ، وهذا عملهم يتوارثونه فكيف ينكرون على معاوية ذلك[٣٩٨].

الوجه الثامن: وناقشة شيخ الاسلام ابن تيمية والزيلعى أيضاً بأن معاوية لو رجع إلى الجهر بالبسملة كما نقلوه لكان ذلك معروفاً من أمره عند أهل الشام الذين صحبوه ولم ينقل ذلك عنهم ، بل إن الشاميين كلهم خلفاءهم وعلماءهم كان مذهبهم ترك الجهر بالبسملة ، وماروى عن عمر بن عبد العزيز من الجهر بها فإنه باطل لا أصل له ، والأوزاعى إمام الشام مذهبه فى ذلك مذهب مالك فى عدم القراءة بها سراً وجهراً ، ومن المستبعد أن يكون هذا حال معاوية مع أنه قد صلى مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فلو سمعه يجهر بها لما تركه[٣٩٩].

ثامناً: مارواه محمد بن المتوكل بن أبى السرى ، قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان من الصلوات ما لا أحصها الصبح ، والمغرب ، فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها ، وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن أقتدى بصلاة أبى ، وقال أبى: ما آلو أن أقتدى بصلاة أنس بن مالك ، وقال أنس: ما آلو أن أقتدى بصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم[٤٠٠].

وهذا الحديث واضح الدلالة.

398- المرجعان السابقان.

399- المرجعان السابقان.

400- رواه الدارقطنى فى كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة والجهر بها ، حديث (٢٥) ، (٣٠٨/١) ، والحاكم فى كتاب الصلاة (٢٣٣/١_٢٣٤) ، وقال: "رواة الحديث عن آخرهم ثقات".

يمكن مناقشة هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: ناقشه شيخ الاسلام ابن تيمية والزيلعى من جهة ثبوته ، فقال إنه وإن صححه الحاكم إلا أنه متساهل فى التصحيح بإتفاق العلماء فتصحيحه يكون أحياناً كتحسين الترمذى وأحياناً دونه ، وأما ابن خزيمة وابن حبان فتصحيحهما أرجح من الحاكم بلا نزاع فكيف بتصحيح البخارى ومسلم وأصحاب أنس الثقات رووا عنه خلاف ذلك ، فلا يعارض هذا ما ثبت عن أنس فى البخارى ومسلم من الاسرار(٤٠١).

الوجه الثانى: وناقشة شيخ الاسلام ابن تيمية بأنه على تقدير أن المعتمر أخذ صلاته عن أبيه ، أبوه عن أنس ، وأنس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فإن هذا مجمل ومحتمل ، لأنه لا يمكن ثبوت كل حكم جزئى من أحكام الصلاة بمثل هذا الجزئيات فى أفعال كثيرة ضبطاً تاماً إلا بنقلٍ مفصل لا مجمل(٤٠٢).

تاسعاً: مارواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال: بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى ، ثم رفع راسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال:"أنزلت على سورة ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم:{إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وأنحر ، إن شانئك هو الأبتر}(٤٠٣){الكوثر: ١_٣}.

فوجه الدلالة: أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جهر بالبسملة خارج الصلاة فكذا فى الصلاة كسائر الآيات(٤٠٤).

401- مجموع الفتاوى (٤٢٦/٢٢) ، نصب الراية (٣٥٢/١).
402- مجموع الفتاوى (٤٢٧/٢٢).
403- رواه مسلم فى كتاب الصلاة ، باب صحة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة رقم (١٤) ، حديث رقم (٥٣) ، (٣٠٠/١).
404- المجموع (٣٤٨/٣).

ويمكن مناقشة هذا الدليل بأن قياس البسملة داخل الصلاة على البسملة خارجها قياس فى مقابل النص فهو مردود(٤٠٥).

مناقشة عامة لهذه الأدلة :

الوجه الأول: ناقشها الزيلعى والعينى بأن أحاديث الجهر بالبسملة وإن كثر رواتها إلا أنها ضعيفة جميعها ، فليست مخرجة فى شئ من الصحاح ، ولا المسانيد ، ولا السنن المشهورة ، وقد روى أكثرها الحاكم والدارقطنى ، والحاكم قد عُرِفَ بتساهله وتصحيحه للأحاديث الضعيفة ، وأما الدارقطنى فقد ملأ كتابه من الأحاديث الغريبة والشاذة والمعللة ، وكم فيه من حديث لا يوجد فى غيره ، وفى رواتها الكذابون والضعفاء والمجاهيل الذين لا يوجدون فى كتب التواريخ ولا الجرح والتعديل ، فكيف يعارض برواية هؤلاء مارواه البخارى ، ومسلم فى صحيحهما كحديث أنس(٤٠٦).

الوجه الثانى: ناقشها الزيلعى نقلاً عن صاحب التنقيح(٤٠٧) بأنه قد روى عن الدارقطنى لما ذهب إلى مصر فسأله بعض أهلها تصنيف شئ فى الجهر ، فصنف فيه جزءاً ، فأتاه بعض المالكية ، فأقسم عليه أن يخبره بالصحيح من ذلك فقال:"كل ماروى عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فليس بصحيح ، أما عن الصحابة فمنه صحيح وضعيف".

الوجه الثالث: ناقشها الزيلعى نقلاً عن صاحب التنقيح_أيضاً_ بأن الأحاديث الواردة فى الجهر يمكن حملها على أحد أمرين:

405- الأحكام الفقهية ص (٢٧٠).
406- نصب الراية (٣٥٥/١) ، عمدة القارئ (٢٩٠/٥).
407- لعله ابن الجوزى فله كتاب بهذا الاسم فى تخريج أدلة الفقه الحنبلى هذا نقلاً عن كتاب الأحكام الفقهية ص (٢٧٠).

الأمر الأول: يمكن حملها على أنه جهر بها للتعليم ، أو جهر بها جهراً يسيراً يسمعه من قرب منه ، والمأموم إذا قرب من الإمام أو حاذاه سمع ما يسر به، ولا يسمى ذلك جهراً كما روى أبو قتادة أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يسمعهم الآية أحياناً فى الظهر والعصر(٤٠٨).

الأمر الثانى: أن الأمر بالجهر بها كان قبل الأمر بتركه ، لما رواه سعيد بن جبير أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وكان مسيلمة يدعى رحمن اليمامة ، فقال أهل مكة: إنما يدعو إله اليمامة ، فأمر الله رسوله بإخفائها ، فما جهر بها حتى مات(٤٠٩)، فهذا يدل على نسخ الجهر(٤١٠). وهو وإن كان مرسلاً إلا أنه يتقوى بفعل الخلفاء الراشدين ، لأنهم أعرف بذلك(٤١١).

أدلة أصحاب القول الثالث:

استدل أصحاب القول الثالث القائلين بأن الإسرار بالبسملة فى قراءة الفاتحة مستحب إلا فى بعض الأحيان إذا وجد مصلحة راجحة فيستحب الجهر، بأدلة أصحاب القول الأول ، وحملوا أدلة القول الثانى على قراءة ذلك فى بعض الأحيان لبيان جاوز للتأليف عند من قال بمشروعيتها ، أو نحو ذلك(٤١٢).

408- رواه البخارى في كتاب الاذان ، باب يقرأ فى الأخريين بفاتحة الكتاب (١٩٨/١) ، ومسلم فى كتاب الصلاة ، باب القرأة فى الظهر والعصر الحديثان (١٥٤_١٥٥) ، (٣٣٣/١) بلفظ قريب من هذا.

409- رواه أبو داود فى المراسيل فى كتاب الصلاة ، باب ما جاء فى الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، حديث (٣٣) ، ص (١٢٣).

410- نصب الراية (٣٥٩/١).

411- عمدة القارى (٢٩١/٥).

412- الأحكام الفقهية ص (٢٧١).

الترجيح:

والذى يظهر رجحانه فى هذه المسألة _والله أعلم بالصواب_ هو القول الثالث القائل باستحباب الاسرار بالبسملة إلا فى بعض الأحيان إذا كان هناك مصلحة لأن فى الأخذ به أخذاً بجميع الأدلة وجمعاً بينها ، وفيه تأليف للقلوب ، قال شيخ الاسلام ابن تيمة:"ويستحب للرجل تأليف القلوب بترك هذه المستحبات لأن التأليف فى الدين أعظم من مصلحة فعل ذلك ، كما ترك النبى صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تغيير بناء البيت لما فى إبقائه من تأليف القلوب"(٤١٣).

ثم قال:".... ولهذا نقل عن أكثر من روى عنه الجهر بها من الصحابة المخافتة فكأنهم جهروا بها لإظهار أنهم كانوا يقرؤنها ، كما جهر بعضهم بالاستعاذة أيضاً ، والاعتدال فى كل شئ استعمال الآثار على وجهها ، فإن كون النبى صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يجهر بها دائماً وأكثر الصحابة لم ينقلوا ذلك و لم يفعلوه ممتنع قطعاً، و قد ثبت عن غير واحد منهم نفيه عن النبى صلى الله عليه و سلم و لم يعارض ذلك خبر ثابت إلا و هو محتمل و كون الجهر بها لايشرع بحال _مع أنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة_ نسبة للصحابة إلى فعل المكروه وإقراره ، مع أن الجهر فى صلاة المخافتة يشرع لعارض"(٤١٤).

قال ابن القيم:"... وكان (يعنى النبى صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ، ولا ريب أنه لم يكن يجهر بها دائماً فى كل يوم وليلة خمس مرات أبداً حضراً وسفراً ويخفى ذلك على خلفائه الراشدين وعلى جمهور أصحابه وأهل بلده فى الأعصار الفاضلة ، هذا من أمحل

413- رواه البخارى فى كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيايها ، (١٥٦/٢).
414- المجموع الفتاوى (٤٠٧/٢٢_٤٠٨).

المحال حتى يحتاج إلى التشبث بألفاظ مجملة ، وأحاديث واهية ، فصحيح تلك الاحاديث غير صريح ، وصريحها غير صحيح(٤١٥).

المطلب الثامن

حكم تكرار البسملة فى الصلاة

اختلف الفقهاء في حكم ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: هو رواية عن الإمام أبى حنيفة ، وهو قول صاحبيه أبى يوسف ومحمد بن الحسن(٤١٦) وهو أنه يستحب تكرار البسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة فى كل ركعة. وهو الظاهر من كلام أحمد ، وأصحابه حيث قالوا بأن الركعة الثانية كالأولى ما عدا تكبيرة الإحرام والاستفتاح والتعوذ فى رواية(٤١٧).

القول الثانى: وهو رواية عن الإمام الشافعى وأصحابه(٤١٨) وهو أنه يجب تكرار البسملة لقراءة الفاتحة فى الصلاة فى كل ركعة.

القول الثالث: وهو رواية عن الإمام أبىحنيفة(٤١٩) وهو أنه لا يشرع تكرار البسملة لقراءة الفاتحة فى كل ركعة.

415- زاد المعاد (٢٠٦/١_٢٠٧).
416- فتاوى النوازل ص (٤١) ، المبسوط (١٦/١) ، تحفة الفقهاء (١٢٨/٢) ، بدائع الصنائع (٢٠٤/١).
417- العدة ص (٧٨) ، الكافى (١٣٩/١_١٤٠) ، المغنى (٥٧٠/١) ، المقنع ص (٢٩) ، الفروع (٤٣٨/١) ، المبدع (٤٧٦٠/١) ، كشاف القناع (٣٥٥/١_٣٥٦).
418-الأم (١٢٩/١) و المهذب (٨٥/١) ، المجموع (٤٤٩/٣) ، منهاج الطالبين (١٧١/١).
419- فتاوى النوازل ص (٤١) ، المبسوط (١٦/١) ، تحفة الفقهاء (١٢٨/٢) ، بدائع الصنائع (٢٠٤/١) ، الهداية (٤٨/١) ، تبيين الحقائق (١١٢/١) ،

الأدلة:

استدل أصحاب الرأى الأول بما يلى:

١- أن العلماء قد اختلفوا فى كون البسملة فى الفاتحة ، وكذلك اختلفت الآثار فى ذلك ، فتستحب قراءتها فى أول كل ركعة ، لأنه أقرب إلى الإحتياط(٤٢٠).

٢- أن البسملة وإن لم تُجعل من الفاتحة وقطعاً بخبر الواحد لكن خبر الواحد يوجب العمل ، فصارت

من الفاتحة عملاً ، فمتى قُرِئَت الفاتحة قُرِئَت معها احتياطاً(٤٢١).

أدلة أصحاب القول الثانى:

الظاهر من كلامهم أنهم يستدلون له بأن البسملة من الفاتحة فتجب قراءتها فى كل ركعة كسائر آيات الفاتحة(٤٢٢).

ويمكن مناقشة هذا الدليل:بأن اعتبار البسملة آية من الفاتحة محل خلاف بين الفقهاء- كما سبق-(٤٢٣)،فلا يصح الاحتاج به.

أدلة أصحاب القول الثالث:

واستدلوا له بما يلى: أن البسملة ليست من الفاتحة ، وإنما تفتتح القراءة بها تبركاً ، فلا تكرر فى كل ركعة كالاستعاذة(٤٢٤).

ويمكن مناقشة هذا الدليل من ثلاثة وجوه:

420- المبسوط (١/١٦).
421- بدائع الصنائع (١/١٧١).
422-الأم (١/١٢٩).
423- فى مسألة البسملة آية من القرآن أو ليست بآية (أصحاب القول الأول).
424- المبسوط (١/١٦) ، بدائع الصنائع (١/٣٠٤) ، الهداية (١/٤٨).

الوجه الأول: أن القول بأن البسملة ليست من الفاتحة محل خلاف بين العلماء_كما سبق _(٤٢٥) فلا يصح الإحتجاج به.

الوجه الثانى: أن تكرار الاستعاذة فى كل ركعة محل خلاف الفقهاء(٤٢٦). فلا يصح القياس عليه.

الوجه الثالث: أن قياس البسملة على الاستعاذة قياس مع الفارق ، لأن الاستعاذة ليست آية بالاتفاق ، والبسملة متفق على أنها بعض آية من سورة النمل.

الترجيح:

الذى يظهر رجحانه فى هذه المسألة_والله أعلم بالصواب_ هو القول الأول القائل باستحباب تكرار البسملة لقراءة الفاتحة فى كل ركعة ، لما استدلوا به ، ولأن البسملة مستحبة عند ابتداء السورة ، فكلما ابتدأ الإنسان سورة استحب له البسملة سواء كان فى الصلاة أو خارجها(٤٢٧).

المطلب التاسع

حكم تأدي فرض القرآن بها في الركعة:

المشهور عند الحنفية: عدم تعين قراءة الفاتحة لصحة الصلاة، بل تصح بقراءة ماتيسر من القرآن، وبناء عليه فالمنقول لهم في هذه المسألة قولان:

الأول: يتأدى بها فرض القراءة في الركعة، وتصح الصلاة فيما لو اكتفى المصلي بقراءتها، ونسبه التمرتاشي للإمام أبي حنيفة.

425- فى مسألة البسملة آية من القرآن أو ليست بآية (أصحاب القول الأول).
426- خلاف العلماء فى تكرار الاستعاذة ينظر فى المبسوط (١٣/١) ، مجمع الأنهر (٩٩/١) ، روضة الطالبين (٢٤١/١) الكافى (١٤٠/١) ، المغنى (٥٧١/١) ، المحرر (٦٤/١) ، الأحكام الفقهية ص (٢٣٣) وما بعدها.
427- الأحكام الفقهية ص (٢٧٤).

قلتُ: وهو قياس قوله فيها.

قال البخاري في كشف الأسرار:" وأمَّا عدم جواز الصلاة، فقد ذكرالتمرتاشي في شرح الجامع الصغير: أنه لو اكتفى بها يجوز الصلا ة، عند أبي حنيفة- رَحِمَهُ اللهُ)(٤٢٨).

الثاني: لايتأدى فرض القراءة في الركعة بها، ولاتصح الصلاة فيما لو اقتصر عليها، وهذا ما نسبه جمهور الحنفية – ومنهم السرخسي والبخاري – للإمام أبي حنيفة، خلافًا لما قاله التمرتاشي)(٤٢٩).

قال السرخسي: "ولكن لايتأدى بها فرض القراءة في الركعة، عند أبي حنيفة – رَحِمَهُ اللهُ – ؛ لاشتباه الآثار واختلاف العلماء. ..وما كان فرضًا مقطوعًا به لايتأدى بما فيه شبهة، ولسنا نعني الشبهة في كونها من القرآن ؛ بل في كونها آية تامة. "(٤٣٠).

قلتُ: الصحيح من مذهب أبي حنيفة: أنها آية تامة مستقلة بنفسها.

وقد ذكر صاحب فواتح الرحموت: تعقب بعض شراح أصول البزدوي لهذ الكلام، حيث قال ":وتعقب عليه الشيخ الهداد في شرح أصول الإمام البزدوي ؛ بأنه حينئذٍ ينبغي أن لاتجزئ بقراءة الحمد لله رب العالمين ؛ إذ قد خولف في كونه آية تامة. ثم قرر أصل الكلام: بأنه قد خولف في قرآنية البسملة، مع كون القراءة فرضًابالإجماع، فلم تجز بها احتياطًا، وعلى هذا ينبغي أن لاتجزئ في كل مختلف فيه، فلا تصح من غير قراءة الفاتحة ؛ إذ لا فرق عند التحديق. (٤٣١).

428 – كشف الأسرار عن أصول البزدوى ٢٣/١.
429 – أصول السرخسى ٢٨١/١،و كشف الأسرار الموضع السابق.
430 – أصول السرخسى، الموضع السابق،شرح التلويح على التوضيح ٤٧/١.
431– القاموس المحيط،مادة (ح د ق) ٦/٣، مختار الصحاح نفس المادة ص١٢٦.

ثم إنه لا معنى للاحتياط عند من يقطع بالقرآنية، وكونها آية تامة ؛ لأن برق الحقيقة قاطع للشبهات فافهم (٤٣٢).

قلتُ: وهذا كلام في غاية الإلزام، لمن قال بعدم تعين قراءة الفاتحة.

أمَّا على قول الأئمة الثلاثة بتعيين قراءة الفاتحة لصحة الصلاة، وعدم الاكتفاء بماتيسر من القرآن سواها، فلا إشكال في القول بعدم تأدي فرض القراءة في الركعة بالبسملة(٤٣٣). لكن المأخذ مختلف، والله أعلم.

432 – فواتح الرحموت ٢/١٤-١٥.
433 – الأم ١/١٠٧، بداية المجتهد ١/١٥٩، و المغنى ٢/١٤٦.

الخاتمة

بسم الله الذي به تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد نبي الله ورسوله الذي ختمت به النبوات و الرسالات و آله و صحبه و أزواجه الطاهرات وبعد.

فمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

أولاً: أن البسملة آيه من الفاتحة وجزء آية من أول كل سورة سوى براءة.

ثانيا: لا خلاف بين العلماء في أنه جزء آيه من سورة النمل في قوله تعالى " أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم " وإنما خلافهم في بسملة أوائل السور.

ثالثاً: مسألة خلاف العلماء في قرآنية البسملة ظنية وليست قطعية.

رابعاً: أن العلماء أجمعوا على عدم تكفير جاحد قرآنيتها ، كما أجمعوا على عدم تكفير مثبتها.

خامساً: الخلاف في قرآنية البسملة له ثمرته الكبيرة في خلاف العلماء في كثير من الأحكام الشرعية وكان له ثمرته في تنوع مذاهب القراء في البسملة في بداية السورة وبين السور.

سادساً: من النتائج أن اسمه تعالى " الله " اسم تفرد به سبحانه وخص به نفسه ، وجعله أول اسمائه وأعظمها وأضافها كلها إليه ، فكل اسم من اسمائه يكون نعتا له وصفة ، ولفظ الجلالة " الله" أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني وأن هذا الاسم المبارك له من المزايا والخصائص واللطائف ما ليس لاغيره من أسمائه تعالى.

سابعاً: أن اسمه تعالى الله ليس مشتقاً و أنه بخلاف كلمة " إله " فأنها مشتقة وأن اسميه " الرحمن" و " الرحيم" مشتقان من الرحمة خلافاً لمن قال الرحمن غير مشتقة.

ثامناً: دلت بلاغة التركيب في " بسم الله الرحمن الرحيم " على كثير من المعاني التفسيرية والصور البلاغية واللطائف والدقائق البيانية والاشتقاقات اللغوية.

تاسعا: للبسملة أهمية كبرى في جميع كبرى في جميع مناحر الحياة الدينية والدنيوية.

عاشرا: تفسير البسملة دخلة كثير من التحريفات التي لا تليق بها ولا بكتاب الله عز وجل.

الحادي عشر: ورد في فضل البسملة بعض من الاحاديث والاثار الضعيفة والموضوعة.

الثاني عشر: وجوب قراءة البسلمة عند قراءة الفاتحة في الصلاة لقيام الحجة على أنها آية من أول الفاتحة.

الثالث عشر: إذا أمكن الجمع بين الاراء خير من ترجيح رأي على رأي لما فيه من الجمع بين الادله والاقوال والتأليف بين القلوب.

التوصيات

أولا: التنبيه على الضعيف والموضوع من الآثار و الأحاديث ببيان علة ضعفها وأسبابها ووضعها التي بينها العلماء.

ثانيا: يوصي الباحث بضرورة التامل والتفكير والتدبر في أسماء الله تعالى الحسنى الواردة في القرآن والسنة لاستخراج ما دلت عليه من الكنوز العلمية ومعرفة حظ العبد من كل اسم من اسمائه تعالى.

ثالثا: التمسك بمنهج السلف الصالح والحذر من البدعة ،فأنها تؤدي إلى التحريف في كل مجالات الدين.

رابعا: عدم الجرأة على القول في كتاب الله تعالى بغير علم ، واستراط الاهلية لكل من رام ذلك.

خامسا: العناية بتفسير كتاب الله تعالى وفقه منهج السلف الصالح ، والدعوة إليه ونشره ، ليصل للمسلمين ودستورهم كما أراده الله تعالى لهم ، فتزول الخلافات وتعود لهم قوتهم.

سادسا: التصدي لكل صغيرة وكبيرة من أمثال تلك التحريفات والتنبيه على مافيها من باطل وفضح أمر المحرفين لئلا يغتر بهم.

سابعا: غربلة تلك التفاسير المشتهرة المتداولة مما حوت من التحريف وتوضيح الصحيح من القيم فيها.

ومبدأ أن يكون هناك هامش لكل تفسير هو فطنة لذلك يتم رصد كل تحريف والرد عليه ببيان القول الحق.

هذا و آخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الامين وعلى آل وصحبه أجمعين.

الحمدلله الذي أحسن خاتمة هذا البحث فنسأله سبحانه أن يحسن خاتمة أعمالنا

ثبت المراجع و المصادر

القرآن الكريم

١- تفسير الكشاف للزمخشري، ط/ دار الكتب العلمية بيروت

٢- تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، ط/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٣- المستدرك على الصحيحين للحاكم، نشر دار الكتاب العربي بيروت

٤- المصنف لعبد الرازق الصنعاني ت/ حبيب الرحمن الأعظمي منشورات المجلس العلمي باكستان ط/الأولى – المكتب الإسلامي بيروت

٥- الموطأ للإمام مالك ت أ د/ عبد الوهاب عبد اللطيف ط/ دار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٦- بدائع الفوائد لابن القيم ط/ الكتب العلمية

٧- تفسير إرشاد العقل السليم إلـــى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ط/ دار الكتب العلمية بيروت

٨- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ط/ دار الكتب العلمية بيروت

٩- تفسير الطبري ت/ أحمد شاكر ط/ دار المعارف مصر الطبعة الثانية

١٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ت/ أسعد محمد الطيب ط/مكتبة نزار مصطفى الباز مكتبة مكة المكرمة

١١- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ط/ دار سحنون للنشر تونس

١٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ط/ دار الفكر

١٣- البحر المحيط لأبي حيان ت/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين طبعة أولى دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م

١٤- التفسير الكبير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ط/ دار الكتب العلمية

١٥- السنن الكبرى للبيهقي ط/ دار الفكر بيروت

١٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي دار الفكر بيروت ط/ الثانية ١٤٠٣

١٧- إعراب القرآن للزجاج ت/ إبراهيم الإبياري ط/ وزارة الثقافة و الإرشاد

١٨- تفسير روح المعاني للألوسي ط/ دار الفكر

١٩- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ط/ دار الكتب العلمية بيروت

٢٠- سنن أبي داود ط/ دار الكتب للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان

٢١- سنن إبن ماجة ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي

٢٢- صحيح البخاري تقديم فضيلة الشيخ أحمد شاكر ط/ دار الجبل

٢٣- صحيح سنن الترمذي بأختصار السنه نشر مكتب الغربية العربي لدول الخليج توزيع المكتب
الإسلامي ط/ الأولى ١٤٠٨هـ
٢٤- صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط/ دار الفكر، بيروت لبنان .
٢٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، ط/ دار الريان للتراث.
٢٦- مسند الإمام أحمد ط/ المكتب الإسلامي
٢٧- مناهل العرفان للزرقاني ط/ دار إحياء الكتب العلمية
٢٨- معاني القرآن للفرآء، ط/ دار السرور
٢٩- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت – لبنان
٣٠- تفسير النسفي دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان
٣١- تفسير النكت والعيون الماوردي ط/ الكتب العلمية – بيروت – لبنان
٣٢- أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة د/ أحمد مختار عمر ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣٣- كتاب الزينة للرازي، ت/ حسين بن فيض الله الهمداني القاهرة ١٩٥٨
٣٤- الأسماء والصفات للبيهقي دار الكتب العلمية – بيروت
٣٥- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي -- ت/ محمد عثمان الخشتب القاهرة ١٩٨٥

٣٦- موسوعة له الأسماء الحسنى للزجاج – للشرباصي لبنان – ط/ الثانية ١٩٨٧

٣٧- تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج – ت/ أحمد يوسف الدقاق دار المأمون للتراث ١٩٧٩

٣٨- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت/ د عجاج الخطيب، ط/ مؤسسة الرسالة ١٩٩١

٣٩- الأحكام الفقهية: دار عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع

٤٠- أحكام القرآن: للجصاص ، أبي بكر أحمد بن علي الرازي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت لبنان طبعة سنة ١٣٧٥ هـ.

٤١- الإحكام في أصول الأحكام لعلي من أبي الامدى ، ط. دار الكتب العلمية بيروت.

٤٢- الاختبارات الفقهية لإبن تيمية ، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

٤٣- إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للألباني ط/ الأولى ١٣٩٩ هـ ، المكتب الاسلامي – بيروت.

٤٤- أسرار المعاني في أسماء الله الحسنى د/ محمود السيد حسن ط/ المكتب الجماعي الحديث.

٤٥- الأسماء الحسنى – لحسنى عز الدين الجمل – ط/ دار الغد العربي – القاهرة ١٩٩٣ م.

٤٦- أسماء الله الحسنى – لحسنين مخلوف – ط/ دار المعارف.

٤٧- اشتقاق أسماء الله الحسنى ، للزجاجي ، ت/ د. عبد المحسن المبارك ، ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م.

٤٨- أصول السرخسى: للسرخسى ، محمد بن احمد ، ت/ أبو الوفاء الأفغاني الناشر ؛ دار المعرفة بيروت.

٤٩- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: لمحمد أحمد الشربيني الخطيب ، الناشر دار المعرفة ، بيروت.

٥٠- إكمال المعلم: لأبي. أبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٥٠- الام: للشافعي ، للإمام الشافعي ، مع مختصر المزني الناشر؛ دار المعرفة،

بيروت ، ط. الثانية ١٣٩٣ هـ.

٥١- الإنصاف لأبن المنير على حاشيه الكشاف ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت.

٥٢- الإنصاف للمرداوي ، علاء الدين أبي الحسن على بن سليمان، ت محمد حامد الفقي ، ط. مطبعة السنة المحمدية ، الثانية ١٣٧٦ هـ.

٥٣- بحث أضواء على الإعجاز البلاغي سورة الفاتحة ، د. صالح بن محمد أبو بكر الزاهراني – مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد الرابع – المملكة العربية السعودية.

٥٤- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: لأبن نجيم ، زين العابدين بن إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة بيروت ، ط. الثانية.

٥٥- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: للكاساني ، علاء الدين أبي بكر بن مسعود.

٥٦- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لأبن رشد ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ.

٥٧- البرهان في علوم القرآن: للإمام الزركشي ، ت/ أبو الفضل إبراهيم ، ط. البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية.

٥٨- بستان العارفين للإمام النووي دار المناهج للنشر والتوزيع للطبعة الأولى ت / دار المناهج للدراسات

٥٩- بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي ، نشر مكتبة الآداب ط ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

٦٠- البلاغة العربية أسسها وعلومها ، تأليف عبد الرحمن الميعداني ، نشر دار القلم ، دمشق. ط/ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٦١- البلاغة العربية فنونها وأفنانها د/ فضل حسن عباس ط: دار الفرقان للنشر والتوزيع.

٦٢- بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني: لأحمد بن عبد الرحمن البنا ،ط/ دار الشهاب القاهرة.

٦٣- البيان والتحصيل: لأبن رشد ، الناشر: ط/ دار المغرب الاسلامي - بيروت ١٤٠٤ هـ.

٦٤- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للزيلعي ، فخر الدين عثمان بن علي: ط/ دار المعرفة ، ط. الثانية.

٦٥- تحفة الفقهاء: لعلاء الدين السمرقندي المتوفي ٥٣٩ هـ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ط/ دار الكتب العلمية ، بيروت.

٦٦- تصحيح الفروع: للمرداوي ، علي بن سليمان ، الطبعة ١٤٠٢ هـ ،

عالم الكتب. بيروت.

٦٧- تفسير أبي الليث السمرقندي ، ت: الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد الموجود ، د. زكريا ، ط/ دار الكتب العلميه – بيروت

٦٨- التفسير القيم ، لأبن القيم ت/جمعة محمد إدريس الدوي – بيروت – لبنان دار الكتب العلمية.

٦٩- تفسير آيات الأحكام للقصبي زلط ط/ دار القلم للنشر والتوزيع – دبي.

٧٠- تقريب التهذيب: لأبن حجر: للعسقلاني ، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر : دار المعرفة ، ط. الثانية ١٣٩٥ هـ.

٧١- تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعه ، لأبي الحسن على بن محمد الكناني ط: دار الكتب العلمية بيروت.

٧٢- التهميد لم في الموطأ من المعاني والأسانيد ،لأبن عبد البر،ط/ وزارة الأوقاف المغربية ١٩٦٧ م.

٧٣- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: للدسوقي ، محمد بن عرفة بهامشه الشرح الكبير للدردير ، ط/ دار الفكر ، بيروت.

٧٤- حاشية العدوى على شرح أبي الحسن لرسالة ابن أبي زيد: لعلي بن أحمد الصعيدي العدوي ط/ دار المعرفة ، بيروت.

٧٥- الحجة على أهل المدينة: لمحمد بن حسن الشيباني ط/،عالم الكتب ،ط. الثالثة ١٤٠٣هـ.

٧٦- ديوان الراعي النميري ، ط المعهد الألماني بيروت، ١٩٨٠م.

٧٧- ديوان النابعة الذبياني ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ دار المعارف ، ١٩٩٠ م.

٧٨- ديوان أمرؤ القيس ، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ دار المعارف العصرية.

٧٩- روائع البيان في تفسير أيات الأحكام للصابوني ط/ دار الصابوني – ط/ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط / مكتبة المعارف.

٨١- السلسلة الضعيفة للألباني ط / مكتبة المصارف للرياض.

٨٢- سن الترمذي ، ت/ أحمد شاكر ، ط/ المكتبة الإسلامية.

٨٣- سن الدار قطني تصحيح عبد الله هاشم اليماني ،ط/ دار المحاسن ، القاهرة ١٣٨٦ هـ.

٨٤- سنن النسائي ، ط/ دار البشائر الإسلامية ، بيروت مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.

٨٥- شرح أسماء الله الحسنى ، لأبي القاسم القشيري – ط/ مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٠ هـ.

٨٦- شرح أسماء الله الحسنى للرازي ت/ طه عبد الرؤوف سعد – بيروت ١٩٨٤ م.

٨٧- شرح العقيدة الطحاوية ، ت / جماعة من العلماء ، ط/ المكتب الإسلامي.

٨٨- صحيح الجامع للألباني ط /، المكتب الإسلامي – بيروت.

٨٩- كشف الخفاء والالباس عم إشتهر من الأحاديث على ألسنت الناس ، ط: دار التراث الإسلامي القاهرة.

٩٠- علم البديع ، تأليف: د. بيسوني عبد الفتاح ، ط/ الأولى .

٩١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام العيني ، الناشر:دار الفكر.

٩٢- فتاوى النوازل لأبي الليث السمرقندي الطبعة الأولى ، ١٣٥٥ هـ ، د.

مطبعة شمس الاسلام.

٩٣- فتاوى قاضي خان: لحسن الاوزجندي ، مطبوع بهامش الجزء الاول والثاني والثالث من الفتاوى الهندية ، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت ،ط. الثانية ١٤٠٠هـ.

٩٤- فقة اللغة العربية للثعالبي ط: دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان.

٩٥- الفواكه الدواني: أحمد بن غنيم ، شرح رسالة أبي زيد القيرواني للنفراوي ط/: دار المعرفة ، بيروت.

٩٦- في ظلال القرآن ، لسيد قطب ،. دار الشرق السابعه عشر ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م

٩٧- القوانين الفقهية: لأبن جزي ، محمد بن احمد ،ط/ الدار العربية للكتاب ، لبياتوني.

٩٨- الكافي في فقه أهل المدينة: ت: محمد محمد أحيد ولد قاديك المسريتاني ، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

٩٩- الكامل في الضعفاء ، لأبن عدى ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٦ م.

١٠٠- كتاب الأدعية والأذكار د/ عبد الرازق ابن عبد الله المحسن ط / وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. ١٤٢٦ هـ.

١٠١- كشف القناع للبهوتي: منصور بن يونس ، الناشر: عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣ هـ.

١٠٢- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للشيخ على المنتقى ط/ جمعية دار المعارف.

١٠٣- اللباب في شرح الكتاب: للغنيمي ، عبد الغني الغنيمي الميداني ،ط/ بيروت، ط. الثالثة ١٣٩٨ هـ.

١٠٤- الإحكام في أصول الأحكام ، لأبن حزم ، ت: أحمد شاكر ، ط: مكتبة الخنجي ١٣٤٧ هـ

١٠٥- المبدع في شرح المقنع: لأبي إسحاق ، ط. المكتب الاسلامي ، ط. الأولى.

١٠٦- المبسوط: للسرخسى ، الناشر دار المعرفة ، بيروت.

١٠٧- مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر: للأفندي ، عبد الله ابن الشيخ محمد بن سليمان ، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٠٨- مجمع الزوائد للهيثمي ، ط: دار الفكر بيروت.

١٠٩- المجموع شرح المهذب. للنووي ت ٦٧٦ هـ. الناشر: دار الفكر.

١١٠- مجموع فتاوي ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، وابنه محمد.ط/ إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة ١٤٠٤ هـ

١١١- مجموع فتاوى الشيخ ابن باز.

١١٢- المحلى لأبن حزم ت: أحمد شاكر ، الناشر: دار الأفاق الجديدة ، بيروت.

١١٣- محيط المحيط لبطرس البستاني ط / مكتبة لبنان.

١١٤- المدونة الكبرى: للأمام مالك، رواية سحنون التنوخي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣ هـ.

١١٥- مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح: لحسن بن عمار بن علي الشربنلالي ،ط: دار المعرفة ، بيروت

١١٦- المُزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطي ط:عيسى البابي الحلبي.

١١٧- المستصفى: للإمام الغزالي ، أبي حامد محمد بن أحمد ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، عام ١٤٠٣ هـ.

١١٨- المعجم الأوسط: للطبراني ، ت: محمود الطحان ، ط: دار المعارف ، الرياض ١٩٨٥ م.

١١٩- المعجم الصغير،للطبراني ،ت: محمد شكور الحاج ط: المكتب الإسلامي بيروت ١٩٨٥م.

١٢٠- المعجم الكبير ، للطبراني ، ت حمدي السفلي ،ط: وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٣ م.

١٢١- المغنى: لأبن قدامة ، على مختصر الخرقي ، الناشر: دار الكتاب العربي و بيروت

١٢٢- مغنى المحتاج: لمحمد الشربيني الخطيب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١٢٣- المُنتقى شرح المؤطأ: للباجي: أبي الوليد ، سليمان بن خلف الباجي. الطبعة الأولى عام ١٣٤١ هـ و مطبعة العادة ، مصر.

١٢٤- منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات: لمحمد بن أحمد الفتوحي الشهير ببن النجار ، ت/

١٢٥- منهاج الطالبين: للإمام النووي ، أبي زكريا ، يحيى بن شرف ، مطبوع مع مغنى المحتاج ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢٦- المهذب للشيرازي، ط. مصطفى الحلبي الثانية ١٣٩٦هـ.

١٢٧- مواهب الجليل شرح مختصر خليل: للإمام الحطابى، الناشر: مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

١٢٨- ميزان الاعتدال للإمام الذهبي ، ت: على محمد البجاوي ط: دار المعرفة بيروت.

١٢٩- نصب الراية لأحاديث الهداية. للزيلعي ، ، وعلى حاشيته بغية الالمعي في تخريج الزيلعي ، الناشر: المجلس العلمي جوها نبرج، كراتش ، سملك بالهند الطبعة الثانية.

١٣٠- نوادر الأصول للحكيم الترميذي ط/ دار صادر.

١٣١- الهداية للمرغيناني ، أبي الحسن علي بن أبي بكر الراشداني ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، ط. الثانية ١٣٩٧ هـ والبحث العلمي.

١٣٢- الأحكام الفقهية: دار عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع

١٣٣- النشر في القراءات العشر لشمس الدين بن الجزري ، ط /دار الفكر للنشر و التوزيع.

١٣٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي ،ط/ دار الفكر للنشر و التوزيع.

١٣٥- تحريف معاني الالفاظ القرآنية لعميرة بنت حمد الرشيدي ،ط الاولى ، دار كنوز اشبيليا للنشر و التوزيع ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٣٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطى، تحقيق: مكتب البحوث و الدراسات ، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

١٣٧- الإعتقاد و الهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف و أصحاب الحديث: أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ،ط الأولى ،١٤٠١هـ.

١٣٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين: للإمام بن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م.

١٣٩- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك و الشافعي و أبي حنيفة رضي الله عنهم: الإمام أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ،ط: دار الكيب العلمية بيروت.

١٤٠- الإنصاف فيما يجب اعتقاده و لا يجوز الجهل به: للإمام الباقلاني ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، عالم الكتب ، لبنان ،ط الأولى ١٤٠٧هـ -١٩٨٦ م.

١٤١- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد: محمد بن نصر المرتضي اليماني (ابن الوزير) ،ط: دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط الثانية ١٩٨٧.

١٤٢- تفسير البغوي: للإمام البغوي ، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر و التوزيع ،ط الرابعة ،١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

١٤٣- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي ، جلال الدين السيوطي ط:دار الحديث ، القاهرة ، ط الأولى.

١٤٤- تفسير السلمي المسمى: حقائق التفسير: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي ، تحقيق: سيد عمران ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان. ط الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٤٥- تفسير الميزان للطباطبائى: ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط الثالثة ، ١٣٩٣.

١٤٦- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان ط الأولى ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م.

١٤٧- التنبيهات اللطيفة فيما أحتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفه: عبد الرحمن ناصر السعدي ، دار طيبة ، الرياض ،ط الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤٨- جامع بيان العلم و فضله: يوسف عبد البر النمري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٣٩٨هـ.

١٤٩- الخصائص: لابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، ط:عالم الكتب ، بيروت.

١٥٠- درء تعارض العقل و النقل: لشيخ الإسلام إبن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٥١- سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبى ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط التاسعة ، ١٤١٣هـ.

١٥٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة من الكتاب و السنة و إجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي أبو القاسم ، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ.

١٥٣- شرح العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية: محمد خليل الهراس ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الإرشاد، الرياض ، ط الأولى ،١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٥٤- شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر و الحكمة و التعليل: لأبى عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزراعي الدمشقي، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٥٥- الطيوريات من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي: أبو الحسيني المبارك بن عبد الجبار الطيوري ، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن ، دار أضواء السلف ، الرياض ،ط الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

١٥٦- فتاوى ابن الصلاح، ط:دار الكتب العلمية / بيروت.

١٥٧- مجلة المنار: محمد رشيد رضا ، أنشئت سنة ١٣١٥هـ.

١٥٨- المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف: صالح الغامدي دار الأندلس ، حائل، ط الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨ م.

١٥٩- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦٠- مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين: للإمام أبى الحسن الأشعرى ، تحقيق: هلموت ريتر ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط الثالثة.

١٦١- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض و الاعتزال: للإمام الذهبى ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، دار النشر.

١٦٢- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت لبنا ؛

١٦٣- الانتصار للقرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني تحقيق الدكتور /محمد عصام القضاة الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ ه الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.

١٦٤- الآيات البينات على شرح جمع الجوامع: أحمد بن قاسم العبادي، ضبط الشيخ / زكريا عميرات،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٦٥- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني، تحقيق: الدكتور/ محمد مظهر بقا، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع جدة.

١٦٦- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: د/عبدالرحمن الجبرين،الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١ ه، الناشر: مكتبة الرشد ٠

١٦٧- تشنيف المسامع بجمع الجوامع: محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: د/سيد عبدالعزيز، د/عبدالله ربيع، الطبعة الأولى، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ٠

١٦٨- تقرير الشربيني على جمع الجوامع: للشيخ / عبدالرحمن الشربيني، دار الفكر،بيروت لبنان.

١٦٩- تيسير التحرير على كتاب التحرير، محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، طبع سنة ١٣٥٠ ه،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ٠

١٧٠- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين السبكي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩ ه، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان

١٧١- شرح التلويح على التوضيح: لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ضبط الشيخ / زكريا عميرات، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦ ه، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ٠

١٧٢- شرح العضد لمختصر المنتهى الأصولي مع الحواشي الثلاث: للقاضي عضد الدين والملة، مراجعة وتصحيح: شعبان محمد إسماعيل، طبع سنة ١٣٩٣ ه، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية ٠

١٧٣- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، لأبي زرعة العراقي، تحقيق، مكتب قرطبة للبحث العلمي واحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ، الناشر: الفاروق الحديثة والنشر القاهرة

١٧٤- فتح العزيز شرح الوجيز: المطبوع مع مجموع النووي، لعبد الكريم بن محمد الرافعي،ط: دار الفكر.

١٧٥- فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت،، عبدالعلي محمد نظام الدين الأنصاري، المطبوع مع كتاب المستصفى للإمام الغزالى الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢ ه، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر ٠

١٧٦- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: عبدالعزيز بن أحمد البخاري، طبع سنة ١٣٩٤ ه، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ٠

١٧٧- مختصر المنتهى الأصولي، المطبوع مع شرح العضد والحواشي الثلاث: تأليف أبي عمرو بن الحاجب، مراجعة وتصحيح / شعبان محمد اسماعيل، طبعة سنة ١٣٩٣ ه، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية ٠

١٧٨- المستصفى من علم الأصول، ومعه فواتح الرحموت: لأبي حامد الغزالي، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢ ه، المطبعة الأميرية ببولاق مصر ٠

١٧٩- منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل: لجمال الدين أبي عمرو بن الحاجب، الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٦ ه، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، لمحمد إسماعيل ٠

١٨٠- أمالي بن سمعون ،ط: دار الكتاب العربى،بيروت.

١٨١- الدلائل لمحمد الباقلاني ،تحقيق عماد الدين أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ط الاولى ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م.

١٨٢- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، تأليف عبد الفتاح القاضي ط/ الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ١٩٧٧ م.

١٨٣- جمال القراء و غاية الإقراء للإمام السخاوي ،ط دار الفكر بيروت.